تاريخية القرآن الكريم بين القبول والرفض "دراسة تحليلية"

إعداد

د. سمر عبدالفتاح حسب الله سيد أحمد

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

الملخص

تاريخية القرآن الكريم بين القبول والرفض

دراسة تحليلية

د/سمر عبد الفتاح حسب الله

يتناول هذا البحث تحليلا لفكرة تاريخية النص القرآنى ،بالمفهوم الحداثى،ويركز على الآثار السلبية المترتبة على القول بها،كما يوضح الفرق بينها وبين التاريخية المقبولة ،والتى تعتبر وجها من أوجه إعجاز القرآن الكريم ،مبينا موضوعها، والآثار الإيجابية المترتبة على الإيمان بها،وهو يتكون من مقدمة،وثلاثة فصول،وخاتمة٠

المقدمة:تضمنت أسباب اختيار الموضوع ،ومنهج البحث،وأهدافه، وغاياته،ومكونات الدراسة٠

الفصل الأول:تحديد المفاهيم٠

الفصل الثانى:التاريخية المقبولة،موضوعها،وفوائدها٠

الفصل الثالث: التاريخية المرفوضة،والآثار المترتبة عليها٠

الخاتمة:تتضمن أهم النتائج،وأبرز التوصيات،وأهم المقترحات٠

The historical background of the Holy Quran between acceptance and refuse

Analytical study

This research includes illustration of the historical ideas of the Holy Quran with its modern explanation. The research concentrates on the negative effective of this historical idea , and it also explains the difference between refused and the accepted historical idea which is considered a phase of the Quran kareem miracle. The research highlights or spotlights positive ideas according to Quran miracle prove. The research includes an introduction , three chapters and conclusion.

Introduction : contains the reasons of choosing the topic , research methodology and its goals .

1 –The first chapter : Determines the concepts historical ideas.

2 – The second chapter: The accepted historical idea , it's topic , and it's advantages.

3 – The third chapter :The refused historical idea effects.

Conclusion : contains the important results and the most remarkable suggestions and recommendations.

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن الكريم، وجعله هدى ورحمة للمؤمنين، وبيَّن فيه ما يصلح حال الإنسان في دنياه، ويسعده يوم لقاء الله؛ باعتبار أن ذلك هو الكتاب المنزَّل، على قلب النبي المرسل. قال –تعالى–: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جعل القرآن شاملا فترات ما قبل الزمان، ومبيِّنًا ما يتعلق بتاريخيَّة الأحداث والأشخاص، فحدَّث أقواما بأزمانهم، وأنبياء بأعيانهم، وما حاق بأممهم، كعاد، وثمود، ولوط، وغيرهم.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، بيَّن وفصَّل ما أُجْمل في القرآن الكريم، وألمح في حديثه عن "التاريخية القرآنية"، التي جاءت فيها الأحداث مقترنة بأزمانها وشخوصها.

فاللهم صل وسلم وبارك عليه، وآل بيته الطاهرين، وأصحابه النجوم الأخيار، والتابعين لهم، ومن عمل بعملهم، من الذين عرفوا قيمة القرآن الكريم، فتمسكوا به، واجعلنا وإياهم في نعيم إلى يوم الدين.

وبعـــد...

فقد سرى نور القرآن الكريم في أمة سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم–، وبخاصة أمة الاستجابة، وصاروا يتعبدون الله به: تلاوة، وتأمينًا، واعتقادًا، إلى غير ذلك من الوجوه، كما نظروا إلى قصصه بما فيها من أحداث تاريخية، وأشخاص معلومة، وأخرى مطويَّة، مما يؤكد وجوه إعجاز القرآن الكريم على النواحي المتعددة.

ثم بدت نابتة من أمة الدعوة، لم يتفهموا القرآن الكريم، ولم يقفوا على أهدافه وغاياته، ونظروا إليه على أنه يقع في إطار "التاريخية" التي تَصْدُق أو تكذب، وتقبل

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.

الزيادة أو النقص، ثم استخدموا مصطلحًا، راق لهم، أطلقوا عليه اسم "التاريخية العلمية". ومن المؤسف أنهم اعتبروه مقياسا، يمارسونه على القرآن الكريم.

ومن ثم، فإن هذا البحث يعالج المسألة من جانبين: "التاريخية المقبولة"، ويلمح إلى أدلتها، و"التاريخية المرفوضة"، ويناقشها، ومن ثم فإنه يقوم على ما يلي:

أولا: أسباب اختيار الموضوع

لقد اخترت هذا الموضوع لجملة من الأسباب، أبرزها ما يأتى:

١- وجود كتابات كثيرة في الوقت الحاضر تعامل أصحابها مع القرآن الكريم كنص لغوي، شأنه –في ذلك– شأن أي خطاب بشري، أو إنتاج معرفي، دون مراعاة لبعده الغيبي، وقداسته الإلهية.(١)

٢- محاولة البعض النيل من قداسة القرآن الكريم، وصلاحيته لكل زمان ومكان، واعتبار التصريح بذلك هوس ميتافيزيقي أو وهم من الأوهام.(٢)

٣- ظهور البعض ممن يدعي حقه في نقد التراث الإنساني، وأخذوا يوجهون سهامهم نحو التراث، دون تمييز، واعتبروا القرآن الكريم جزءًا من التراث، وسمحوا لأنفسهم نقده، في لغته الفريدة، وإعراباته الجامعة، وقراءاته التي لا مثيل لها؛ فأخطأوا الطريق، ولم يصلوا إلى غاية صحيحة.

٤- أن عصر النهضة الحديثة في أوربا(٣) ، وظهور حركات النقد المتواصل للكتاب المقدس، وشروحه التي قام بها رجال الدين، والتي انتقدت بالزيادة والنقص، ووصفت –أحيانا– بالكذب والمخالفة للقواعد العلمية، وحيث انتهت معركة الجدل بين الفكر الغربي والمسيحية إلى القول بتاريخية الكتب

(١) منها: كتابات أركون، ونصر حامد أبو زيد، وطيب تيزيني، وعبد المجيد الشرفي، ومحمد حسين فضل الله، وغيرهم.

(٢) راجع ما ذكره الطيب تيزيني في كتابه: النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ص ١١٥ – ١٥٢، دار الينابيع، الطبعة الأولى.

(٣) يطلق على القرنين: الخامس عشروالسادس عشر. [راجع لمراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص ٧٤٧، الطبعة السادسة، بدون بيانات.

المقدسة، فأراد العلمانيون العرب تطبيق هذه المقولة والتعامل على أساسها مع القرآن الكريم.

٥- محاولة البعض[١] التأكيد على أن القرآن الكريم نص تاريخي، نزل لأمة خاصة، في ظروف معينة، فينبغي عدم فهم آياته فهمًا حرفيًّا، كما ينبغي عدم الوقوف على ظواهرها.

٦- وجود نزعات داخل البيئة الإسلامية، إما أنها تمثل حالات مَرَضِية، أو حالات نقد اصطناعية، أو كان ذلك ناتجا عن غرور علمي، مردُّه إلى ثقافة مجتزأة، لا تسمن ولا تغني من جوع، وقد توجهوا إلى القرآن الكريم، بما في صدورهم، لا بما احتوته آيات الذكر الحكيم.

٧- أن المناهج الحديثة التي وضعوها كإطار معرفي، واعتبروها قواعد عامة؛ لا يمكن تطبيقها على القرآن الكريم، من حيث إنه كلام الله -تعالى- النفسي المُعبَّر عنه بالكلام اللفظي، وقدسية الكلام في معناه ولفظه، لا تقبل تلك المناهج التي وضعوها؛ إذ كيف يوضع منهجا حداثيا ليكون ضابطا على الكلام الإلهي، والله -تعالى- يقول: [وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا][٢]

٨- أن هذا الموضوع لم تسبق دراسته على النحو الذي أقوم به[٣] ، وهذا مما يجعلني على يقين من أن مجهودي لن يضيع سدى، والله -سبحانه وتعالى- يعطي العباد على حسن نياتهم.

---

(١) مثلما فعل أنور خلوف في كتابه: "القرآن بين التفسير والتأويل والمنطق العقلي"، ص ١٩ – ١٤٥، دار حوران للطباعة والنشر -دمشق -سوريا، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٧. وقال -جل شأنه-: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [سورة النساء: الآية ١٢٢]

(٣) حيث قسمت البحث إلى جانبين: جانب شرعي مقبول، وبينت أنه وجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم، وآخر سلبي مرفوض، بينما جرت عادة المتناولين لهذه المسألة التركيز على "التاريخية" بمفهومها الحداثي فقط.

ثانيا: منهج البحث:

لما كان هذا البحث يتناول مفهوم "التاريخية" كما وردت بها النصوص النقلية، ومفهوم "التاريخية" عند دعاة الحداثة، فمن الثابت أني سأستخدم مناهج ثلاثة:

الأول: المنهج التقريري. وهو القائم على ذكر ما للقرآن الكريم من وجوه الإعجاز، بحيث أُبْرِز "التاريخية القرآنية"، من حيث: موضوعها، وفوائدها، وألمح إلى وجوه الإعجاز على ناحية إجمالية.

الثاني: المنهج التحليلي. وهو الذي أتناول فيه "التاريخية الحداثية"، وأبيِّن ما إذا كان هذا المصطلح مقبولا على الناحية المناهجية المعاصرة أم لا، بحيث أذكر المقدمات التي اعتمدوا عليه، وأناقشها بعد تحليلها.

الثالث: منهج النقد والموازنة. وهو الذي يقوم على النظرة الموضوعية، فإذا بان لي شيء مما ذكره الحداثيون مقبولا؛ نوَّهت إليه، وإذا كان مرفوضا؛ نبهت إليه، ثم وازنت بين الأهداف والغايات التي ترتبط بالتاريخية المقبولة والأخرى المرفوضة.

ويصح أن يطلق على هذه المناهج الثلاثة : المنهج التكاملي.

ثالثا: الأهداف والغايات

لما كان الهدف هو الذي يعقد الفرد عليه عقله، ويسعى إلى تحقيقه؛ فإن الغاية هي المترتبة على ذات الهدف، ومن ثم فإن هذه الدراسة لها جملة من الأهداف والغايات، من أهمها:

١- بيان أن القرآن الكريم لم يترك شيئا إلا بيَّنه ووضحه، والغاية هي إعلام أن جهود الحداثيين وغيرهم لن تنال منه، والوقائع التاريخية شاهدة له.
٢- إثبات أن دفاعات القرآن الكريم عن نفسه ذاتية، أما الغاية فهي بيان أن جهود الحداثيين خارجة عَرَضية، ولا يؤثر العَرَضي فيما هو ذاتي.
٣- التأكيد على أن المحاولات التي يقوم بها الحداثيون إنما هي رجع صدًى، بعضها يضرب بعضًا، والغاية هي إبراز القضية الأساسية، وهي حفظ الله –

تعالى- للقرآن الكريم في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1]

رابعا: مكونات الدراسة

تتكون هذه الدراسة من: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، بجانب أهم المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

المقدمة: تتضمن أسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، والأهداف والغايات، ومكونات الدراسة.

الفصل الأول: (تحديد المفاهيم)، ويشتمل على: تحديد مفهوم "التاريخ"، وتحديد مفهوم "التاريخية المقبولة" و"التاريخية المرفوضة" للقرآن الكريم، كذا تحديد مفهوم "النص ".

الفصل الثاني: "التاريخية المقبولة" موضوعها، وفوائدها.

الفصل الثالث: "التاريخية المرفوضة"، والآثار المترتبة عليها.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج، وأبرز التوصيات، وأهم المقترحات.

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

الفصل الأول

تحديد المفاهيم

يُعدّ تحديد المفاهيم من المسائل ذات الأهمية، خاصة أن المبادئ العامة للمناهجية المعاصرة قد ركزت عليه، والفضل يرجع –في تحديد المفاهيم– لعلمائنا الأعلام، الذين أثْرُوا الفكر الإنساني، وخدموا دين الإسلام؛ عندما يعرفون في مطالع بحوثهم ما يريدون تناوله، بقولهم: "وتعريفه: كذا"، أو "يعرف بأنه: كذا"، أو "حقيقته كذا"، وقد يستعملون عبارة: "وَحَدُّه كذا".

ثم إن تحديد المفاهيم عملية عقلية، يتم من خلالها استخلاص المعنى المراد من اللفظ المتداول، على ناحية تخدم البحث العلمي، وبناء عليه؛ فإني سأتناول تحديد ألفاظ كل من: "التاريخية المقبولة" – "التاريخية المرفوضة" – "النص "، من خلال تناول ما يأتي:

١ –مفهوم لفظ "التاريخ".

القاعدة الثابتة هي: أن "التاريخية" وصف يسبقه موصوف، كلفظ: "المادية"، و"الاستقلالية"، و"الحداثية"، وغيرها. وحيث إن هذه الدراسة مَعْنيِّة بالمصطلح المتداول؛ فقد وُجِد له مفردان: **أحدهما** مُنصبّ على حركة الزمان، وهو التاريخ. **وثانيهما:** مرجعه إلى جملة الأفكار، وهو "التاريخية". وسوف أعرض للأول، بحيث تتضح العلاقة بينه وبين الثاني. وسيكون ذلك على النحو الآتي:

عُرِّف لفظ "التاريخ" بتعريفات متعددة، كل واحد منها يجيء على ناحية بذاتها، ومن أبرزها:

ما ذكره ابن خلدون من أنه "في ظاهره لا يزيد على إخبار عن: الأيام، والدول، والسوابق من القرون الأُوَل، وفي باطنه: نظر، وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها؛ دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع، وأسبابها عميق."(١)

ومن ثم، فإن التاريخ حركة ثابتة في أحداثها، وأشخاصها، ويمكن ملاحظته عن طريق: الأحداث، والأشخاص، والأفكار.

---

(١) العلامة عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ١٢، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث –القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ويعرف التاريخ بأنه: "علم يبحث في الوقائع والحوداث الماضية."(١) ومن ثم، فإن التاريخ وعاء زماني للأحداث المقترنة بالأشخاص، حُدِّد بمحددات معينة، الهدف منه إثبات أن كل أمة لها تاريخ يجب أن تحافظ عليه.

٢- مفهوم التاريخية المقبولة للقرآن الكريم.

هي التي جاءت في القرآن الكريم متناولة أحداث خلق: الكون، والإنسان، وغيرهما، مقترنة بزمان، وحدث، ومكان، وذلك موجود في النصوص القرآنية.(٢)

وبناء عليه تكون تلك الأحداث التاريخية مقبولة، حيث نبهت إلى: الأحداث، والأزمنة، والأمكنة على ناحية لا يأتيها شيء من شك أبدا، كما يمكن فهمها والتأكيد عليها من خلال ما يأتي:

أ- يمكن ملاحظتها من تنزلات القرآن الكريم، ابتداء من قلم رب العزة، ثم اللوح المحفوظ، ثم إلى جبريل الأمين، ثم إلى النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم-، ومن بعده صحابته الميامين، ثم إلى كل مسلم.(٣)

ومن ثم، فهذه "التاريخية" القائمة على تنزلات القرآن الكريم؛ رُوعي في مفهومها البناء الزمني، ويشهد له أن القرآن الكريم ظل ينزل على قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- في بضع وعشرين سنة.

---

(١) د/ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ١، ص ٢٢٧، دار الكتاب اللبناني -بيروت -لبنان ١٩٨٢م.

(٢) من ذلك: حديث القرآن عن خلق السموات والأرض -إنشاء، وإبداعًا- في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سورة فصلت: الآيات ٩ - ١٢]

(٣) هذه التاريخية لها دلائل كثيرة من الكتاب والسنة، وبالتالي فهي مقبولة من ناحية السند الموثق، ومقبولة أيضا من ناحية أنها لا تناقض أصلا، ولا تخالف حكما عقليا.

يقول الشيخ الرافعي[١] مبينًا بعض حكم إنزال القرآن الكريم مُنَجَّمًا، وموضِّحًا "تاريخية القرآن الكريم" التي تعد وجهًا من وجوه إعجازه: "أنزل القرآن منجما في بضع وعشرين سنة، ... ولولا نزوله منجما آية واحدة إلى آيات قليلة؛ ما أفحمهم الدليل في تَحَدِّيهم بأقصر سورة منه؛ إذ لو أنزل جملة واحدة –كما سألوا– لكان لهم في ذلك وجه من العذر، يلبس الحق بالباطل ...، ولكن الآية القصيرة تنزل في زمن يعرفون مقداره، بما ينزل في عَقِبها، ثم هم يعجزون عن مثلها في مثل هذا الزمن بعينه، وفيما يربو عليه ويضعف، وعلى انفتاح المدة وتراخي الأيام بعد ذلك إلى نفَس من الدهر طويل، أمر هو يشبه في مذهب الإعجاز أن يكون دليل التاريخ عليه، وأنه ليس في طبعهم البتة، لا قوة ولا حيلة، فإن العجز عن صنع المادة لا يَثْبُت في التاريخ إلا إذا ثبتت مدة صنعها، على وجه التعيين، بأي قرينة من القرائن التاريخية." [٢]

ب–كما يمكن التعرف عليها من جملة الأحداث والوقائع التي حدثت عند خلق الله –تعالى– الخلق، وجاء ذكرها في القرآن الكريم، وتسمى: "القصص القرآني"؛ لقوله –تعالى–: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[٣] ومحل الشاهد: أن قصص القرآن الكريم جاءت مرتبطة بالأحداث والأزمان، واقترنت بالأشخاص والأمكنة التي تؤكد التاريخية المقبولة للقرآن الكريم.

---

(١) الشيخ مصطفى الرافعي: أصله من طرابلس، ولد في "بهتيم" بالقليوبية عند والد أمه، في عام ١٨٨٠م، درس في مدرسة دمنهور الابتدائية، ثم في المنصورة، وعُيِّن كاتبا في محكمة طنطا، أصيب بصمم، فكان يكتب له ما يريد مخاطبته، نبغ في الأدب، والشعر، له مؤلفات عدة، منها: ديوان شعر في ثلاثة أجزاء، وتاريخ آداب العرب، وإعجاز القرآن، وغيرها، توفي في طنطا بمصر، عام ١٩٣٧م. راجع للعلامة خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢٣٥ – ٢٣٦، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

(٢) الشيخ الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢٦، دار الكتاب العربي –بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

(٣) سورة يوسف عليه السلام، الآية ٣.

ج- كما أنه يدخل في إطار التاريخية المقبولة للقرآن الكريم حديثه عن أخبار وقعت في الأزمنة المتباعدة، وتقع في الأزمنة الحالية، ويمكن أن تقع مستقبلا، وهي كلها ورد لها إشارات في القرآن الكريم، وتسمى أنباء الغيب.

ولا يخفى أن التاريخية المقبولة تدعمها ظواهر النصوص النقلية، كما تستقيم معها الفطرة الإنسانية. وفوق ذلك فإنها في حماية القداسة التي جعلها الله للنقل المنزل، وهو الذي يسقط من حسابات الكثيرين أصلا؛ تقليدا للآخر، أو عنادا ولججا.

٢- مفهوم التاريخية المرفوضة للقرآن الكريم(١)

ركز الحداثيون على تاريخية القرآن الكريم متصورين أنهم أحدثوا في البناء الثابت ثغرة.

ومن ثم فإني سأتناول مفهومهم "التاريخية" المتعلقة بالنص القرآني؛ حيث ذكر بعض الحداثيين أن أَرخَنةَ الخطاب القرآني يقصد بها: " الكشف عن تاريخية الخطاب القرآني، من طريق ربطه بالبيئة: الجغرافية، والطبيعية، والبشرية القبائلية لشبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي." (٢)

وعلى هذا، فالقرآن الكريم قد جاء لمرحلة محددة، وبيئة معينة، تنتهي -كلها- إلى القبائلية القائمة بشبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، وهو اتجاه خاطئ؛ لأن القرآن الكريم لم ينزل لقرن من الزمان، أو جماعة بعينها، وإنما هو لجميع الخلق. قال -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٣)

ومعلوم أن الحداثيين يحاولون أن يجعلوا القرآن الكريم واقعا في نطاق "التاريخية" التي لا تقوم على أصل صحيح، ولا يمكن الاستفادة منها.

---

(١) هذا المركب التوصيفي المقترن بالمرفوضة لأن كل ما جاء حولها لا يقوم على سند صحيح من النقل أو العقل أو الفطرة، ولذلك جعلتها في مقابلة "المقبولة"؛ من باب "بأضدادها تتمايز الأشياء"

(٢) د/ محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة: هاشم صالح، هامش ص ٢١، دار الطليعة -بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

ومما يؤكد تلك النتيجة: ما ذكره هاشم صالح نفسه بقوله: "معلوم أن الخطاب القرآني كان قد برع في التغطية على هذه التاريخية، عن طريق ربط نفسه –باستمرار– بالتعالي الذي يتجاوز التاريخ الأرضي كليا، أو يعلو عليه." (١)

ليته سكت؛ فكان خيرا له! غير أنه تجاوز حده فوجب رده؛ لأن القرآن الكريم مقدس، معصوم، فيه البلاغة كلها، وبالتالي فلا يحتاج إلى الوصف بـ "البراعة في التغطية"؛ لأن تحديه قام على قواعد أساسية، منها:

أ- تحدى فيها الإنس والجن جميعا. قال –تعالى–: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٢)

ب- الإخبار بالغيب؛ من حيث إنه حدَّث عن أقوام وأمم، كما حدث عن معالم وحضارات انتهت، فمزَّق حُجب الغيب الزماني الفلكي كلها: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

ج- أنه رفع مستوى التحدي على الجميع، بامتداد الأزمنة، ولم يتمكن أحد أو جماعة من الإتيان بمثله، أو عشر سور من مثله(٣)، أو سورة واحدة من مثله(٤)

لقد ذهب بعض الحداثيين إلى أن "التاريخية" عملية قام بها القرآن الكريم، حتى حصَّل التعالي على أحداث تاريخية واقعية، حصلت في زمن النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولكنها حوِّرت من قِبَل الخطاب القرآني، لكي تتخذ دلالة كونية تجاوز

(١) د/ محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة: هاشم صالح، هامش ص ٢١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٣) قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة هود: الآية ١٣]

(٤) قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة يونس: الآية ٣٨.]

خصوصها المحلية، وتتخذ صفة الكونية، وتصبح وكأنه لا علاقة لها بحدث محدد وقع في التاريخ المحسوس."[١]

أجل، إنها مرفوضة؛ لكونها بعيدة -كل البعد- عن القواعد الثابتة، ثم إنها لم تبلغ الحقيقة؛ لأنها تتهم القرآن الكريم بالتحوُّر في خطابه، كأنه يفصل بين نزول القرآن على قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- وتدوين القرآن في السطور -حال حياته -صلى الله عليه وسلم-. والثابت أن هذا كله في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا هو الجمع الأول للقرآن الكريم.[٢]

ويقرر أصحاب "التاريخية الحداثية" لها تعريفا تفسد مقدماته من أول أمرها، ومن دلائل ذلك تعريفهم لها بأنها: "الحدوث في الزمن، حتى لو كان هذا الزمن هو لحظة افتتاح الزمن وابتدائه." [٣]

وهو اتجاه يفسد آخره أوله؛ وذلك لارتباطه بحدثه، داخل إطار زمان فلَكَيٍّ يمكن تقسيمه إلى لحظات تعبر عن افتتاح الوجود أو انتهائه. وبالتالي فهو يتناول فكرة "الحدوث"، وليس "التاريخية". والفرق بينهما هو أنه غابت عنه حقائق الأشياء؛ فـ "التاريخية" تشمل: الزمان، والمكان، والأحداث، والأشخاص، وبالتالي فقصرها على الحدوث يؤكد عدم استقامة التعريف.

---

(١) راجع لـ "أركون": الإسلام والأخلاق السياسية، ص ٣٠ – ٣١، وعلي حرب: نقد النص ص ٦٥ – ٦٦، المركز الثقافي العربي –الدار البيضاء -المغرب، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م.

(٢) جُمِع القرآن الكريم ثلاث مرات: الأولى: بحضرة النبي "صلى الله عليه وسلم"، والثانية: في خلافة أبي بكر الصديق "رضي الله عنه"، والثالثة: في خلافة عثمان بن عفان "رضي الله عنه". راجع للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٠٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، طبعة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٣) د/ نصر حامد أبو زيد: النص والسلطة والحقيقة إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة ص ٧١، المركز الثقافي العربي مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى ٢٠١٤م، وراجع له أيضا: التفكير في زمن التكفير ضد الجهل والزيف والخرافة، ص ٢٠٥، مكتبة مدبولي –القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

أضف إلى ما سبق: أن الحداثيين نظروا إلى النص القرآني، واعتبروه من المنْتَج الثقافي الأوَّلي الذي يتحول –فيما بعد– إلى منتِج لثقافة تكون أعلى من المرحلة الأولى التي كان فيها منتَجًا.(١) وهم يؤكدون على هذه الفرضية –غير المقبولة– حين يقولون عن النص القرآني: إنه "منتَج ثقافي، يمثل –بالنسبة للقرآن– مرحلة التكوين والاكتمال، وهي مرحلة صار النص بعدها منتِجا للثقافة، بمعنى: أنه صار هو النص المهيمن، المسيطر، التي تقاس عليه النصوص الأخرى، وتتحدد به مشروعيتها." (٢)

غير خاف أن هذا القياس لو صح في الثقافات المختلفة؛ فإنه لا يصح في القرآن الكريم؛ لأنه صفة من صفات الله، وليس منتجا من الثقافة، ولو كان كذلك لاستطاع العرب الإتيان بمثله، عندما وقع عليهم التحدي أول أمره، لكنهم عجزوا، فلجأوا إلى السنان بدل البيان.

أجل، يحاول الحداثيون تأكيد الهوية الثقافية الواقعية للنص، حيث تمكنهم من القراءة المتجددة التي تعطي القارئ حرية أكبر في التصرف في النص القرآني، حيث يرون أن: "النص القرآني –باعتبار انتمائه إلى الثقافة–(٣) قد أصبح قابلا للنقض والتحوير، حتى يكون مواكبا للمتغيرات، وحتى تقبله الثقافة." (٤)

من المؤكد أن نسبة القرآن الكريم إلى الثقافة؛ أمر غير مقبول، ولم تقم له شواهد مطلقا، كما أن فكرة قبول النص للتحوير، حتى يكون مواكبا للتغيرات؛ فكرة –إذا انطبقت على التراث الإنساني؛ فإنها لا تجيء أبدا على الكلام الإلهي. كذا فكرة:

---

(١) الفرق بينهما: أن الأول منتَج (مفعول به)، وقع عليه الاقتباس من الثقافة أو التجميع لها، بينما هو في المرحلة الثانية منتِج للثقافة، وكلا الأمرين قد يصح في غير القرآن الكريم؛ لأنه تنزيل رب العالمين.

(٢) د/نصر أبو زيد: التفكير في زمن التكفير، ص ٢٢٧، ومفهوم النص دراسة في علوم القرآن ص ٢٤، المركز الثقافي العربي مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

(٣) هذا الاعتبار صار مسلما عندهم، بينما هو ساقط، غير مقبول عندنا، وما دام الأمر لم يسلم لهم؛ فالواجب عدم اعتباره قاعدة عامة.

(٤) إلياس قويسم: أزمة المنهج التاريخي في التعامل مع النص القرآني، ص ٦، بحث منشور في ملتقى أهل التفسير بتاريخ ١٣/ ٨/ ٢٠١٣م. https:vb.ta fsir.net

التحوير، حتى تقبله الثقافة، فكأنه جعلها حاكما على القرآن الكريم، وهذا كله من فساد الاعتقاد، ومن الكتابات التي ترد على ألسنة المستشرقين ويرددها المستغربون.

ومما يشهد لهذا: ما ذكره هاشم صالح بقوله: "عندما يدعو "أركون" إلى أرَّخنة الخطاب القرآني نفسه؛ فإنه لا يفعل أكثر مما فعله علماء أوروبا منذ القرن التاسع عشر، بالنسبة للتوراة والأناجيل." (١)

٤- مفهوم "النص":

النص: هو الذي تتمثل فيه المفردات التي نطق بها صاحبها، أو دوَّنها، أو وافق عليها منسوبة إليه. ومن هنا تعدد النص، وتعددت مفاهيمه. والذي يهمني -هنا- هو التأكيد على أن النص قسمان:

الأول: النص المقدس، ويشمل: النص القرآني، الذي عرفه الإمام الجويني بقوله: "النص ما لا يتطرق إلى فحواه إمكان." (٢)، والحديثي الصحيح، وقد بدت للعلماء جهود واسعة حوله، من خلال: مفهومه، وفحواه، ومحتواه، ودلالاته، وقراءاته.

الثاني: النص غير المقدس، وهو الذي أنتجه العقل البشري، ويقبل الطعن عليه، والتعديل فيه، كما يقبل الحذف، والزيادة، ولذلك إذا خلا النص من تقديس الشرع له؛ حكم عليه بـ "التاريخية" التي تقبل التحوير، والتعديل، كما تقبل الزيادة والنقصان.

لقد اعتقد الحداثيون أن النص واحد، وتجاوزوا الحدود الفاصلة بين المقدس وغير المقدس، وسمحوا لأنفسهم بإنشاء أبجديات بجوار المصطلحات، كلفظ: التاريخية، والبنيوية(٣)، والتفكيكية(١) ، وغيرها، ثم حاولوا التمسك بها، وتوظيفها، وهو موطن

---

(١) يحيى هاشم: ترجمته لكتاب قضايا في نقد العقل الديني لمحمد أركون، ص ٥٣، دار الطليعة – بيروت.

(٢) الإمام الجويني: البرهان في أصول الفقه، ج ١، ص ٢٧٧، تحقيق: عبد العظيم محمد الديب، دار الوفاء، الطبعة الثالثة.

(٣) "منهجية نقدية تحليلية، تقوم فلسفتها على اعتبار البنية الذاتية للظواهر، بمعزل عن محيطها الخارجي، والتأثيرات الأخرى، فهي تنظر إلى تلك الظواهر من الداخل، وتفترض أنها مغلقة=

الخطر، ثم أسقطوا صفات النصوص غير المقدسة على القرآن الكريم، بزعم أنه نص تاريخي يتمثل فيه حدث، والأمر غير صحيح، وقياسهم القرآن الكريم على ما في أيدي اليهود وغيرهم؛ قياس في غير بابه، وبالتالي فهو محكوم عليه بالفساد.

أخلص –مما سلف– إلى أن "التاريخية المقبولة" لها قدسيتها التي استمدتها من النصوص القرآنية وصحيح السنة النبوية المطهرة، أما "التاريخية المرفوضة" فقد حكمت على نفسها بعدم القبول، عندما سلَّم أصحابها بما نقله المستشرقون والمستغربون من آراء حول الديانات الأخرى، والكتب التي زعموا أنها جاءت معها.

وحيث انتهيت من تحديد المفاهيم، على النحو الذي سلف؛ فمن المناسب الانتقال إلى الحديث عن "التاريخية المقبولة" من حيث: موضوعها، وفوائدها؛ فيما يلي من صفحات إن شاء الله تعالى.

=على ذاتها، وقد نشأت النظرية -أساسا- في مجال اللغة، ثم توسعت تطبيقاتها لتشمل مجالات عدة. "[د. محمد بن عبد الله بن صالح بلعفير: البنيوية النشأة والمفهوم عرض ونقد، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٥، المجلد ١٦، ص ٢٤٢. ٢٠١٧م.

(١) قراءة مزدوجة، تسعى –في بدايتها- إلى قراءة النصوص –أيا كان نوعها- ودراستها بنفس الطرق التقليدية؛ لتصل إلى نفس النتائج المصرح بها من وجهة النظر التقليدية، ثم تسعى –بعد ذلك- إلى تقويض ما تصل إليه من نتائج، في قراءة معاكسة، تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معان تتناقض مع ما يصرح به، ويعد "جاك دريدا" أول من أطلق هذا المصطلح على قراءته النقدية للفكر الغربي الماورائي. [راجع لبييرف زيما: التفكيكية دراسة نقدية، ص ٩، تعريب: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر –بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

الفصل الثاني

"التاريخية المقبولة": موضوعها، وفوائدها

ألمحت إلى مفهوم "التاريخية المقبولة" في صفحات سابقة[١]، ومن المناسب أن يكون الحديث عن موضوعها، والفوائد المترتبة عليها، وسيكون ذلك على النحو الآتي:

أولا: موضوعها.

موضوع كل علم:" ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية." [٢] ومن ثم، فموضوع كل علم يمايز بينه وبين غيره. وبناء عليه يمكن القول بأن موضوع "التاريخية المقبولة" يدور في أخبار القرآن الكريم وقصصه على ناحية أوَّلية، ثم يأتي ما بعدهما على ذات الناحية، وسوف أضرب نماذج لهذه الموضوعات، على النحو الآتي:

١- ما يتعلق بخلق الكون.

دلت ظواهر نَصِّية على أن الزمن الغابر تتمثل فيه أجزاء الزمان الفلكي، وما قبله يمثل جزءا من الزمان المقدَّر في علم الله -تعالى- الأزلي، المشار إليه بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء." [٣]

وهذا دال على التاريخية المقبولة، من حيث إنها تُحَدِّث عن ما قبل خلق الكون، وعن السموات والأرضين، حيث كان الله ولا شيء معه، وعبارة: "خمسين ألف سنة"- الواردة في الحديث الشريف- دالة على حقبة زمانية طويلة، تتمثل فيها التاريخية أصدق تمثيل، طالما أن التاريخ هو جملة الأحداث المقترنة بزمان معين.

كما أن آيات القرآن الكريم تناولت خلق السماوات والأرض، من خلال عملية الفتق. قال -تعالى-: [أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ ﴾ [٤] فالتاريخية بادية -هنا- من خلال الصيغ البنائية الإعجازية الواردة في القرآن الكريم؛

---

(١) ينظر: ص ٨.

(٢) السيد الشريف الجرجاني: التعريفات، ص ٢٣٦، دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام ج٤، ص ٢٠٤٤، رقم ٢٦٥٣، تحقيق: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

لأن عملية الفتق، والرتق قبلها؛ أحداث تمَّت، وفترات زمانية انقطعت، ولكن النص المقدس ذكرها، وأكد عليها، والعقل السليم لم يجد بدا من الإقرار بها، فذلك من التاريخية المقبولة.

ثم إن هذا الجانب –من الموضوع– جاء ذكره في آيات كثيرة، منها: قوله –تعالى–: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[1]

وهذا الواضح من السياق نفسه؛ أنها فترات زمانية، حتى وإن دخلت في الزمان المقدر في علم الله الأزلي[2] .

وهكذا يكون من موضوعات "التاريخية المقبولة": الحديث عن خلق الكون، والسماوات والأرض.

٢–ما يتعلق بتنزلات القرآن الكريم.

ذكر العلماء أن القرآن الكريم لم تكن له عملية تنزيل واحدة، وإنما هي عمليات متواصلة، أشرع في الحديث عنها، على النحو الآتي:

أ– التنزل من العلم الإلهي إلى اللوح المحفوظ.

تم هذا التنزل في زمان لا يعلم حقيقته إلا الله، ومن قال بغير ذلك فعليه إقامة الدليل، ويظل النص مقدسا؛ لأنه جاء من العلم الإلهي إلى اللوح المحفوظ بالقدرة الإلهية.

---

(١) سورة فصلت: الآيات ٩ – ١٢.

(٢) ربما يقال: إن هذه الأيام من الزمان الفلكي، فلا تكون داخلة في الزمان المقدَّر. ولكن هذا الفرض لم تسلم دلائله؛ لأن الله "تعالى" يقول: [إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٦] فدل الأمر على أن خلق السموات والأرض لم يكن في الزمان الفلكي، وإنما كان في الزمان المقدَّر، وما تبع الخلق هو الزمان الفلكي، أما ما تم فيه الخلق فهو الزمان المقدَّر.

دلت آيات الذكر الحكيم على هذا التنزل، كما دلت على وجود القرآن الكريم بنصوصه في اللوح المحفوظ. قال –تعالى–: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[١]

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "اللوح كائن قُدسيّ من كائنات العالم العلوي المغيبات، وليس في الآية أكثر من أن اللوح أودع فيه القرآن، فجعل الله القرآن مكتوبا في لوح علوي." [٢]

أجل، القرآن الكريم كلام رب العالمين، حفظه الله وأودعه في اللوح المحفوظ، وزاده تشريفا وتكريما، بأن جعل له وجود غيبي سابق على وجوده في الواقع.

وقد استدل الإمام الأشعري (ت ٣٣٠هـ) على الوجود الحقيقي للقرآن الكريم في اللوح المحفوظ، من خلال سؤال افتراضي،[٣] جاء على النحو الآتي:"إن قال قائل: حدثونا، أتقولون: إن كلام الله –تعالى– في اللوح المحفوظ؟ قيل له: كذلك نقول." [٤]

ثم استدل بقوله –تعالى–: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[٥]، ثم واصل قوله: "فالقرآن في اللوح المحفوظ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم" قال –تعالى–: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[٦]، ثم واصل قوله: "وهو متلوّ بالألسنة" مستدلًا بقول الحق –تعالى– ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾[٧]، ثم انتهى إلى القول بأن القرآن الكريم مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة.[٨]

---

(١) سورة البروج: الآيتان ٢١ – ٢٢.

(٢) الإمام الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، ج ٣٠، ص ٢٥٣، الدار التونسية ١٩٨٤م.

(٣) السؤال الافتراضي: هو الذي يدور في عقل المفكر، ويبحث له عن إجابات، ويطلق عليه اسم الاستشعار.

(٤) الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٣٣ – ٣٤، مكتبة الجامعة الأزهرية –أسيوط، مكتبة الإيمان.

(٥) سورة البروج: الآيتان ٢١ ، ٢٢.

(٦) سورة العنكبوت: الآية: ٤٩.

(٧) سورة القيامة: الآية ١٦.

(٨) راجع الإمام الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٣٣ – ٣٤.

أما عن كيفية الوجود، والصورة التي وجد عليها القرآن الكريم في اللوح المحفوظ؛ فقد ذكر الشيخ الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) أن هذا الوجود " في اللوح المحفوظ، بطريقة، وفي وقت لا يعلمها إلا الله –تعالى–، ومن أطلعه على غيبه، وكان جملة لا مفرَّقا؛ لأنه الظاهر من اللفظ عند الإطلاق، ولا صارف عنه." (١)

ولما كان اللوح المحفوظ من الأمور الغيبية؛ فإن كيفية وجود القرآن الكريم فيه لا يمكن الحكم عليها بـ "التاريخية الحداثية"؛ نظرا لأنه لا علاقة لها بالمسائل الغيبية.

يقول الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) "اللوح المحفوظ مما أخبر الله –تعالى– به، وأنه أودعه كتابه، ولكن لم يعرفنا حقيقته، فعلينا أن نؤمن به، وليس علينا أن نبحث فيما وراء ذلك، ما لم يأت به خبر من المعصوم صلوات الله وسلامه عليه". (٢) وهو الذي نلقى الله –تعالى– عليه، وتطبق فيه قاعدة التفويض في الحقيقة إلى علم الله –تعالى– الأزلي.

من المسلم به، أن التفويض –في الحقيقة– مردُّه إلى علم الله –تعالى–، وكذلك الحال في الكيفية؛ لأن ذلك تم في عالم الغيب، وما وصل عن القرآن الكريم في هذه المرحلة لا يعلمه أحد، وإلا كان مدعيا اختراق عالم الغيب، والوقوف على علم الغيب، وهو مما اختص الله –تعالى– ذاته به. قال –تعالى–: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾(٣)

ومن ثم، فإن كيفية تدوين القرآن الكريم في اللوح المحفوظ؛ ككيفية إنزاله، وتنزيله، وذلك لا يصح فيه التأويل –على ناحية من النواحي؛ إذ التأويل –في حقيقته– صرف اللفظ عن معنى إلى آخر يكون مقبولا، وهذا مما يؤكد أن الحداثيين دخلوا منطقة غيبية، لا تستعمل فيها الألفاظ التي يتردد أمرها بين معان شتى.

---

(١) الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.

(٢) الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج ٣٠، ص ١٠٨، طبعة الحلبي ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

(٣) سورة الرعد: الآية ٩.

فإذا قال الحداثيون –مثلا: "لا بد أن يُفْهَم الأمر الإلهي التكويني (كُن) فَهْمًا مجازيا، كما اقترحنا أن نفهم اللوح المحفوظ فهما مجازيا؛ لأن الفهم الحرفي يوقعنا في إشكالات تشوش علينا عقيدتنا." [١] فهم قد أتوا من الأمر عجبا؛ لأن الأمر التكويني أمر وفعل إلهيين، ومعبر عنهما بحروف تفهم من خلال النطق، ولكنها على الحقيقة،[٢] ولا يصح فيهما المجاز؛ وذلك لأن المجاز –عند البلاغيين– هو "اللفظ الذي نقل من معناه الأصلي، واستعمل ليدل على معنى غيره مناسب له."[٣]

ثم إن عملية القياس التي ساقها بين اللوح المحفوظ والأمر الإلهي التكويني؛ قياس على غير بابه؛ لأن الأول مخلوق من مخلوقات الله، لا يعلم حقيقته إلا الله، واللفظ المعبر به عنه إنما هو لفظ مقدس؛ لأنه منزل، وبالتالي فتأويله على ناحية مجازية يوقع صاحبه في أمرين، كلاهما أقصى عليه من الآخر، أولهما– قياس عالم الغيب على شيء من عالم الشهادة، ثانيهما– الانتقال من الحقيقة إلى المجاز؛ فلا وجه –إذن– للمقارنة.

لقد حاول بعض الحداثيين الركون إلى الآراء المعروفة في كيفية اللوح المحفوظ، والشكل الذي هو عليه، وكلها اجتهادات لا تتعلق بحقيقته، وإنما تتعلق بصورته، وقد فاتهم أن هذه الاجتهادات لا تنال اللوح المحفوظ من حيث الحقيقة، لكنهم لجأوا إلى الحديث عنه، من حيث حقيقته، حتى قالوا: إن اللوح المحفوظ "رمز من الرموز القديمة، التي كانت منتشرة في الشرق الأوسط القديم. [٤]

غير أن تلك النتيجة تحتاج إلى أدلة على أن اللوح المحفوظ فكرة بشرية، أو رمز من الرموز القديمة، أو كان له وجود في عقلية ساكني الشرق الأوسط القديم. والثابت أن الديانات الإنسانية في الشرق القديم؛ لم تتناول اللوح المحفوظ الذي ورد ذكره في

(١) الدكتور نصر حامد أبو زيد: التفكير في زمن التكفير، ص ٢٠٦ – ٢٠٧.
(٢) الحقيقة المرادة -هنا- هي الحقيقة اللغوية، ويصح التأويل فيها، إذا لم يكن المعنى المقصود مرادا بذاته، وعلى كلٍ، هو لفظ منطوق، مستعمل، متداول بين الناس، وليس أمرا غيبيا.
(٣) الشيخ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص ٢٤٩، ضبط وتدقيق: د/ يوسف الصميلي، المكتبة العصرية –بيروت، بدون تاريخ.
(٤) محمد أركون: القرآن الكريم من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٩.

القرآن الكريم، وإنما تناولت الألواح التي كانت تكتب بيدٍ بشرية، ويسجل فيها الوقائع والأحداث، سواء أكانت من طين أوحجارة أو غيرها[١] ، ولم يثبت أن اللوح الغيبى الوارد ذكره في القرآن الكريم ،له مثيل لدى أصحاب هذه الديانات.

ثم إن عملية الإسقاط التي انتشرت في الغرب، إبان القرن التاسع عشر وما بعده؛ تسيطر على هؤلاء، وقد أتقن المستشرقون صياغتها وإخراجها.

ب- التنزل إلى السماء الدنيا.

أهل العلم يقررون أن من تنزلات القرآن: ما يتعلق بانتقاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وهو الثابت الذي عليه أهل العلم. يؤكد ذلك الشيخ الفضالي[٢] بقوله: القرآن الكريم "نزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة." [٣]

وعلى هذا يكون القرآن الكريم قد انتقل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة، في السماء الدنيا، وهو ما يؤكد أن القرآن الكريم محفوظ، وفي ذات الوقت يكون المؤمن على يقين بأن القرآن هو ذات القرآن الذي كان في العلم الإلهي، حتى بيت العزة، في السماء الدنيا.

---

(١) نقل ول ديورانت في موسوعته "قصة الحضارة" كثيرا من هذه الألواح أو السجلات الحياتية، التي كان يسجلها الكهنة أو غيرهم، تتعلق بتاريخ المملكة من حيث: النشأة، والحكم، والموارد، وغيرها، والفرق بينها وبين اللوح المحفوظ واضح حيث إنه سطر فيه ما كان وما سيكون، وهو غيبي في حقيقته، لا يعلمه إلا الله. [راجع ج٢،ص٢٩-٤٣ على سبيل الأمثلة تقديم: د/ محيي الدين صابر، ترجمة: د/ زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل –بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٢) الشيخ محمد بن شافعى الفضالي، فقيه ومتكلم مصري، شافعي، كان أستاذا للشيخ الباجوري، توفي سنة ١٢٣٦هـ، ومن مؤلفاته: كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام. [راجع للعلامة الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ١٥٥، والعلامة عمر بن رضا بن محمد راغب عبد الغني كحالة: معجم المؤلفين، ج ١، ص ١٢٧، مكتبة المثنى –بيروت، دار إحياء التراث العربي.]

(٣) الشيخ الفضالى: كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام، ص ٥٧، وعليها حاشية: تحقيق المقام للشيخ إبراهيم الباجوري، طبعة الحلبي الأخيرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

ويؤكد الدكتور محمد عمارة أن "آيات القرآن المحكمات تفصح بنزول القرآن من عند الله إلى الواقع الأرضي والعالم البشري، وأنه كان له –أي: التنزيل القرآني– كأي تنزيل؛ وجود مفارق مفارق لهذا الواقع الذي نزل فيه وهبط إليه قبل النزول والتنزيل."[1]

ويستدل عليه بما روي عن ابن عباس –رضي الله عنه– قال:" فصل القرآن من الذكر، فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزله على النبي –صلى الله عليه وسلم– ويرتله ترتيلا." [2]

وبناء عليه، يكون نزول القرآن الكريم إلى السماء الدنيا من الأحداث التاريخية التي يقبلها العقل المسلم، ولا يرفضها.

وأيًّا ما كان الأمر، فإن التاريخية التي أعوّل عليها من ناحية القبول؛ تبيِّن أن القرآن الكريم قد أنزل، وهذه الوقائع التاريخية ثابتة من خلال النصوص النقلية. ولا يخفى أن القاسم المشترك بين الآراء جميعا، هو عمليتا: الإنزال للقرآن، والتنزيل لآياته، بحيث يشمل الجانبين معًا.[3]

وإذا أمكن مقابلة أصحاب الفكر الحداثي بهذا النزول للقرآن إلى السماء الدنيا؛ أمكن القول بأنهم يقاتلون في غير معركة، ومن مظاهر ذلك: قول الدكتور/ محمد

---

(١) الدكتور محمد عمارة: التفسير الماركسي للإسلام، ص ٤٢، دار الشروق -القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. كتاب: التفسير، ج ٢، ص ٢٤٢، رقم ٢٨٨١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

(٣) الإنزال قد يراد به: الجملة. والتنزيل يراد به: الآيات –على سبيل التدرُّج والتنجيم. [راجع لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص ٧٩٩، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية –دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.] وكل منها حدث يُعبِّر عن تاريخية ألمحت إليها الآيات القرآنية. بل يعتبر ذلك من أوجه إعجاز القرآن الكريم التي يمكن الوقوف عليها في الوقت الحاضر.

شحرور[١] : "هل يمكننا أن نقول: إن أحداث معركة بدر كانت قد نزلت إلى السماء الدنيا قبل وقوعها؟ وهل عبس وتولى كانت قبل نزول القرآن؟ هذا الأمر لا يستقيم؛ فالإنسان –النبي– سيكون بمثابة روبوت إن كان مكتوبا قبل أن يعبس ويتولى، وهذا سيجعل الأمر بمثابة كوميديا إلهية." [٢]

لقد غاب عن صاحب النص أن القرآن الكريم نزل جملة إلى السماء الدنيا، ومنه كافة الآيات القرآنية القائمة في علم الله –تعالى– الأزلي، حتى ولو كانت أحداثا مستقبلة؛ لأن علم الله –تعالى– علم إحاطة وانكشاف؛ إذ إنه "صفة ينكشف بها ما تتعلق به –انكشافا لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه".[٣] فلا يصح أن يقال: إن فيه أحداث وقعت، ولم تكن موجودة فيه؛ فهذا جهل بحقيقة العلم الإلهي، وما له من إحاطة وشمول.

أضف إلى ما سبق: أن تشبيههم النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنه سيكون بمثابة "الروبوت"؛ إنما يعبر عن دخيلة غير سوية، وعقيدة تحتاج إلى إصلاح، وذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم– مبلغ عن الله –تعالى–، يبلغ كل ما أوحي إليه.

---

(١) مفكر سوري، ولد بدمشق ١٩٣٨م، حصل على شهادة التعليم الثانوي بدمشق ١٩٥٧، ثم سافر ببعثة إلى الاتحاد السوفيتي لدراسة الهندسة المدنية في موسكو عام ١٩٥٩م، وتخرج بدبلوم الهندسة المدنية عام ١٩٦٤م، أوفد إلى جامعة "دبلن" بأيرلندا عام ١٩٦٨، وحصل على الماجستير ثم الدكتوراه في الهندسة المدنية، بدأ في دراسة العلوم الإسلامية في أيرلندا عام ١٩٧٠، وله مؤلفات عدة، منها: الكتاب والقرآن –قراءة معاصرة، القصص القرآني، الدين والسلطة –قراة معاصرة للحاكمية، أم الكتاب وتفصيلها –قراة معاصرة في الحاكمية الإنسانية، وغيرها. [راجع: الموقع الرسمي للدكتور محمد شحرور = http://sharour.org

(٢) الدكتور محمد شحرور: مفهوم النص القرآني، ومداخل قراءته، ص ٣٦، حوار أجراه معه د. يوسف الغياثية، ونشر في مجلة رهانات، مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية بالمغرب، العدد ١٣، للعام ٢٠١٠م.

(٣) الشيخ محمد بن يوسف السنوسي: شرح أم البراهين، ص ١٠٧ – ١٠٨، ومعه حاشيته على شرح أم البراهين للشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، طبعة الحلبي، الأخيرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٣٩م.

قال –تعالى–: [إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ][1]، والقرآن الكريم معجز. أفلا يكون المبلغ بالإعجاز هو أيضا محفوف بالعناية الربانية؟ وقد زكَّى الله –تعالى– النبي –صلى الله عليه وسلم– في قوله –تعالى–: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ][2]

ج– التنزيل على قلب النبي –صلى الله عليه وسلم–.

تعتبر هذا المرحلة بمثابة الخاتمة للتنزيلات السابقة؛ لأنها التي ورد فيها حال التنزيل، وكيفيته، من حيث إن حال التنزيل جاء مؤقتا بليلة القدر، أو المباركة، وكان ذلك هو بدايات التنزيل، سواء أكانت "اقرأ" أو غيرها.[3]

ولا شك أن هذا التنزل كان منجما، يشهد له قول الحق "جل شأنه": ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[4] وقد نبه الإمام البيَّاضي إلى أن هذا التنزل كان "مفرقا حسب الوقائع." [5]

ومن المؤكد، أن الكيفية التي أخذ بها جبريل "عليه السلام" القرآن الكريم، وعمَّن أخذ؛ أمور غيبية، لم يثبت دليل قطعي على أيٍّ منهما (كيفية الأخذ، والمأخوذ عنه)، والذي يهمني –في هذا المقام– هو التأكيد على أن القرآن الكريم الذي نزل به جبريل "عليه السلام" هو نفسه القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف، وهو كلام الله –تعالى– لفظا ومعنى، وليس لأيٍّ من جبريل "عليه السلام" أو النبي –صلى الله عليه وسلم– شأن في إنشائها، أو ترتيبها.

---

(١) سورة الشورى: جزء من الآية ٤٨.

(٢) سورة النجم: الآية ٣.

(٣) الثابت عند أصحاب السير، والمؤرخين، وكثير من المفسرين؛ أن أول آية -من القرآن- نزولا: [ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ [سورة العلق: الآية ١]، راجع للشيخ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٩.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

(٥) الإمام كمال الدين بن أحمد البيَّاضي الحنفي: إشارات المرام من عبارات الإمام، ص ١٧٢، تحقيق وتعليق: د. يوسف عبد الرازق، طبعة الحلبي، الأولى ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

أجل، لقد حاول العلامة الزرقاني جمع هذه الشبهات في عصره، ونبَّه إلى أنه يمكن تكرارها فيما بعد، وهو يقوم في زعم البعض "أن جبريل "عليه السلام" كان ينزل على النبي –صلى الله عليه وسلم– بمعاني القرآن، وأن الرسول يعبِّر عنها بلغة العرب، وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل، وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط، وكلاهما باطل، أثيم، مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع، ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به." (١)

ثانيا: الفوائد المترتبة على إثبات "التاريخية المقبولة":

من يتأمل "التاريخية المقبولة" للنص القرآني؛ يرى فيها فوائد كثيرة، منها:

١– تثبيت العقيدة الإيمانية.

المعلوم عندنا –نحن المسلمين– أن العقيدة الإيمانية تقوم في أجزاء، كلها غيبية؛ فالله "سبحانه" غيب في حقيقته، ويستدل عليه بآثاره، وأهل العلم يقررون هذه الحقيقة. يقول الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ): "إن عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله –تعالى–؛ لما كان كل ما تتصوره النفس فالله بخلافه، فلم يتمكن العقل والنفس من الإشارة إلى حقيقة معلومة بأن حقيقة الإله هي هذه الحقيقة، ويروى عن سهل بن عبد الله أنه سئل عن ذات الله، فقال: ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، وقد حجب الخلق عن معرفة كُنْه ذاته، ودلهم عليهم بآياته، والقلوب تعرفه، والعقول لا تدركه." (٢)

و"التاريخية المقبولة" عندما يقترن بها النص المقدس (القرآن الكريم)؛ فإنها تجعل تلك العقيدة الغيبية ثابتة في العقل ثبوتها في الفطرة والوجدان؛ لأن الذي بلغ تلك العقيدة هو النص القرآني الذي عَرَّف بالله –تعالى–، وصفاته على ناحية تفصيلية.

ومجمل القول: أن هذه المسائل الغيبية الموجودة في القرآن الكريم؛ لا يستطيع العقل الوصول إليها منفردا؛ إذ كيف للعقل أن يثبت لله –تعالى– صفة الرحمة، وصفة الانتقام في آن واحد، فهو "سبحانه" الرحمن الرحيم. قال –تعالى–: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ

(١) الإمام الزرقاني: مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٩.

(٢) الإمام الفخر الرازي: عجائب القرآن، ص ٤٤١، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب الإسلامية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]، وهو المنتقم الجبار. قال -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[2]

ثم إن "التاريخية القرآنية" تجعل عالم الغيب، بما فيه من: كتب، وملائكة، ورسل، وقضاء وقدر، واليوم الآخر؛ حقائق ثابتة، يمكن الوصول إليها والتعرف عليها، فيزداد المؤمن إيمانا، وتثبت تلك الجوانب على ناحية لا تقبل الشك، ولا تسمح بالهمز الشيطاني، أو نزغه.

وإذا توقفت عند تلك الفائدة؛ تبيَّن أن أصحاب الفكر الحداثي لا يفقهون هذا الجانب؛ حيث ينكر أحدهم الوجود الغيبي للقرآن الكريم (وجود القرآن الكريم في اللوح المحفوظ) معللا ذلك بأنه يحول دون الفهم العلمي لآيات القرآن الكريم، فيذكر أن "الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق للنص؛ يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية[3] ، ويُعكِّر كون النص منتَجًا ثقافيا، ويعكر -من ثم- إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص."[4]

والمتأمل في العبارة السابقة يتبين له أن صاحبها يتحدث عن البناء المعرفي، وليس الإيمان العقدي، ويشهد لذلك مطلع عبارته: (الإيمان بوجود ميتافيزيقي)

بيد أن الأمر لم يقف به عند هذا الحد، لكنه تجاوزه معتقدًا أن فكرة وجود القرآن الكريم في عالم غيبي غير عالم الأرض؛ تعتبر فكرة خيالية، معتقدا أن ذلك هو الحقيقة، بقوله: "والحقيقة أنه لم يكن ثمة نزول مجمل للنص من مكان إلى آخر، وراء عالم الأرض، عالم الوقائع والجزئيات." [5]

إن ما ذهب إليه صاحب النص؛ إنما هو رجع صدى لما سلف ذكره عند أصحاب الوضعية، الذين يقعِّدون لفكرة إنكار وجود عالم غير أرضي، متابعين -في

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٣.

(٣) يقصد كون القرآن الكريم منتَجًا ثقافيا، وذلك أمر بدهي من وجهة نظره هو، ولا نسلم له بذلك.

(٤) الدكتور نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص -دراسة في علوم القرآن، ص ٢٤، مؤسسة: مؤمنون بلا حدود، نشر: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

(٥) الدكتور نصر حامد أبو زيد: المرجع السابق ص ١١١.

ذلك– الماديين، والحسيين؛ " ففي المادية الجدلية ليس الفكر وجود سابق على الواقع، ولا مصدر مفارق للطبيعة والواقع؛ لأن هذه المادية تعتبر الفكر انعكاسا لواقع موضوعي، فهو العملية الإيجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات." (١)

كما أن تعليلات الحداثيين، واستخداماتهم للمفردات القرآنية، ومحاولة النيل منها؛ تؤكد وجود نوايا غير مقبولة على وجه صحيح؛ وذلك لأنهم يقررون أن كل ما يتعلق بتنزيلات القرآن الكريم إنما هي مجرد افتراضات ذهنية، أو على حد قولهم: "متاهة من الافتراضات." (٢)

والسؤال: من صاحب هذه المتاهة؟ ومن الذي اعتبرها افتراضات؟ بل من الذي صاغها على هذا النوع من الوهم؟ أليسوا هم الذين صنعوها وصاغوها؟.

أعتقد أن هذه الافتراضات الوهمية هم الذين شققوا بها على المفكرين المسلمين، وأنهم هم أصحاب الوهم والشكوك، ولم يصلوا إلى شيء من اليقين المطلق، أو النسبي.

وقد نبه الشيخ الزرقاني إلى أن الإيمان بالله –تعالى–، وإنزال القرآن الكريم، ووجود اللوح المحفوظ نفسه؛ يدفع إلى للاجتهاد، والتأمل، وبلوغ الغاية؛ حيث جعله الله –تعالى– محلا جامعا لقضائه وقدره، ولا ريب أن الإيمان به يقوي إيمان العبد بربه، ويبعث الطمأنينة في نفسه، ويحمله على الرضا بما قضى وقدر، مما يهون عليه الحياة." (٣) وفي هذا كفاية لمن يريد أن تثبت عقيدته، ويقوى اعتقاده.

٢– التأكيد على قدسية القرآن الكريم.

من الثابت عندنا نحن المسلمين، أن القرآن الكريم مصدره: الله "عز وجل"، وما دام مصدره الله "عز وجل"؛ فلا بد أن يكون القرآن الكريم مقدسا، يستوي في ذلك:

(١) الدكتور محمد عمارة: التفسير الماركسي للإسلام، ص ٤٣.
(٢) الدكتور نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، ص ١٠١.
(٣) الشيخ الزرقاني: مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٣.

مصدر القرآن، وألفاظ القرآن، والتعامل مع القرآن –تلاوة، وآدابا، وأحكاما، إلى غير ذلك من الوجوه التي لا يمكن أن تماثلها غيرها.ولا شك أن التاريخية المقبولة للنص القرآني تدعم هذا الوجود القدسي.

يقول الدكتور مرزوق العمري: "النص القرآني يوظف باعتباره مقدسا في ذاته، وذلك لطبيعته، فهو كلام الله "عز وجل"، فقدسيته من مصدره، كما أن قدسيته في غايته، وهي بيان الحقيقة العليا التي هي الألوهية، كما بينها هذا النص الكريم، وتوظيف هذا النص والتعامل معه في الحياة الإسلامية؛ مما تضمنه النص ذاته، ولذلك حدد النص القرآني كيف يتعامل معه، كما حددت السنة النبوية كيفية التعامل معه، ويكون ذلك عملا مقدسا، أي عبادة يؤجر عليها المسلم." (١)

أجل، قدسية القرآن الكريم تجعل الرجوع إليه عقيدة جوهرية من عقائد المسلمين، حيث يحتكمون إلى نصوصه، ويلتزمون بأحكامه وتشريعاته، فآيات القرآن الكريم هي التي أوجبت الاحتكام إليه، والعمل به، وعدم جواز الاعتماد على مرجعية أخرى غيره. قال –تعالى–: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾(٢)، وحكم بالكفر على كل من لم يمتثل لأمر الله، قال –تعالى–: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾(٣)

٣- إثبات النبوة الخاتمة.

"التاريخية المقبولة" تحددت من خلالها ملامح ختم النبوة؛ من حيث إن النص القرآني هو الذي ذكرها في قوله –تعالى–: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن

(١) الدكتور مرزوق العمري: إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، ص ٦١، منشورات ضفاف –الجزائر، دار الأمان –الرباط، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

(٢) سورة يوسف عليه السلام: الآية ٦٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٤.

رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا ﴾[1] فخاتم النبيين، أي: "آخرهم، الذي ختمهم، أو ختموا به."[2] ورسالته هي الرسالة الخاتمة.

ثم إن القرآن الكريم، في تاريخيته المقبولة، عند أول نزوله؛ أعلن تحديه للإنس والجن، ورغم مرور تلك السنوات الطوال، ما تزال تلك الخصوصية للقرآن الكريم، لم يتمكن أحد من نزعها، ولو فعل واحد في الكون كله شيئا ولو قليلا، نجح به في معارضة القرآن الكريم؛ لضاعت قضية ختم النبوة.[3]

أضف إلى ما سبق: أن النبوة الخاتمة قامت على جهات إثبات، عرفت باسم "مثبتات النبوة"، ومنها المعجزة، ولا شك أن القرآن الكريم هو المعجزة الخارقة، الجامعة للمعقول والمحسوس، واللفظي والمعنوي؛ فقد جمع تلك الجوانب المختلفة، فهو المعجزة الباقية لعقيدة ختم النبوة.

٤- استمرار الفهم الدقيق للنص القرآني.

كان الصحابة "رضي الله عنهم" مصاحبين للرسول -صلى الله عليه وسلم-، محافظين على النص القرآني وقدسيته، حريصين على فهمه، قائمين بشئون رسالته، ولذا كانوا أقرب إلى فهمه من غيرهم.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٢) الإمام البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٤، ص ٢٣٣، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٣) ربما يقال: ما علاقة ختم النبوة بالنص القرآني؟ وهل يلزم من إثبات بطلانها فساد النص القرآني، أو العكس؟ والجواب: أن الذي نقل عقيدة ختم النبوة هو النص القرآني نفسه، فلو خرمت عقيدة ختم النبوة؛ لحكم بفساد النص، وفي المقابل: لو فسد النص الذي جاء بعقيدة ختم النبوة؛ لفسدت العقيدة، وبناء عليه، فبينهما رباط قوي.

يدل عليه قول الإمام علي رضي الله عنه: "سلوني عن كتاب الله "عز وجل"، فوالله ، ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بالليل أم بالنهار." [١] وهذا –في حد ذاته– يمثل التاريخية المقبولة.

أجل، كان صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أقرب الناس فهما للنص القرآني، فإذا جاء الحداثيون فحاولوا النيل من تلك المسألة بقولهم: "كلما بعدنا عن زمن النبي –صلى الله عليه وسلم– كلما ازداد التنزيل وضوحا، وكلما ازددنا فهما له، وأرضيتنا المعرفة زادت قوة ووضحا." [٢]؛ فتلك مسألة تخالف الحقيقة؛ وذلك لأن العقول التي منحها الله –تعالى– للصحابة "رضي الله عنهم" كانت نقية، قادرة –بفضل الله– على تجاوز حدود الزمان. وبناء عليه، فكلما ازداد الناس بعدا عن عصر النبوة كلما ازدادت مساحة الشك، وتمددت عوامل القلق. والواقع المعاش من الشواهد على ذلك.

وحيث عرضت للتاريخية المقبولة، على الجوانب التي سلفت؛ فمن المفيد الانتقال إلى "التاريخية المرفوضة"، القائمة في الفكر الحداثي، وحيث ذكرت مفهومها، أثناء تحديد المفاهيم؛ فحسبي الانتقال إلى موضوعها، والآثار المترتبة عليها، وهو ما سوف أتناوله في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(١) الإمام السمرقندي: بحر العلوم، ج٣، ص٣٤١.بدون بيانات٠

(٢) الدكتور محمد شحرور: مفهوم النص القرآني ومداخل قراءته، ص ٣٠.

الفصل الثالث

التاريخية المرفوضة –موضوعها، والآثار المترتبة عليها

في هذا الفصل سوف أتناول "التاريخية الحداثية" المتعلقة بالقرآن الكريم من نواح عدة، منها: البنية، والإعجاز، وما يتعلق بحفظه، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ومن المفيد التأكيد على أن الحداثيين –أثناء تعاملهم مع النص– لم يفرقوا بين نص مقدس شرعًا، ونص مقدس عرفًا، وبالتالي أوقعهم هذا المفهوم للنص في جملة من المشكلات المعرفية، مما دفعهم إلى إصدار أحكام فيها الكثير من العموم، وسوف أعرض لذلك على النحو الآتي:

أولا: موضوع التاريخية الحداثية.

١–ما يتعلق بالبِنْيَة.

من المعلوم أن بنية الألفاظ هي الحروف التي تقوم فيها، ومتى كانت الألفاظ صحيحة في الاستعمال؛ كانت البنية كلها على هذا الوجه من الصحة. وهذا قاعدة مسلم بها في المعارف الإنسانية.

وقد ذهب الحداثيون إلى أن بنية القرآن الكريم يصح أن يقال فيها: إنها نص لغوي تاريخي من حيث بنيته، مثله –في ذلك– مثل أي نص آخر. وبناء عليه، صارت الحروف داخل الكلمات القرآنية محل نظر عندهم.

يقول الدكتور طيب التيزيني[١] : "القرآن نص لغوي تاريخي[٢] ، مثله –في ذلك– مثل أي نص آخر." [٣]، ومن ثم فإنه يقبل أن تدخل عليه عوامل اللغة، من:

---

(١) ولد في حمص بسوريا عام ١٩٣٤، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٦٧، ثم الدكتوراه في العلوم الفلسفية عام ١٩٧٣، له مؤلفات عدة، منها: من التراث إلى الثورة، حول نظرية مقترحة في قضية التراث العربي، من يهوه إلى الله، مقدمات أولية في الإسلام المحمدي، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة. اختير واحدا من مائة فيلسوف في العالم للقرن العشرين عام ١٩٨٨م. [راجع الموقع الرسمي للفيلسوف العربي الدكتور طيب تيزيني www.tizini.com =

(٢) هذه العبارة تحمل وجوها من الخطأ في تركيبها، من حيث إن القرآن الكريم إنما هو كلمات إلهية، وليس نصا لغويا تاريخيا، فجاءت مقدماته شاهدة على سوء نواياه.

(٣) الدكتور طيب تيزيني: النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ص ٣٧٣، دار الينابيع – دمشق، طبعة ١٩٩٧م.

الصرف، والنحو، بجانب العوامل الحداثية، من: فقد النص، والتعديل في بنيته على أي طريقة كانت. كما يقرر هؤلاء أن بنية القرآن الكريم على ما هي فيه، ربما تمسك البعض بقدسيتها؛ لكنها أفكار غير مقبولة؛ لأن القرآن –في نظرهم– المقروء المتلوّ الموجود بين دفتي المصحف؛ إنما هو تعبير عن الخطاب الشفهي، الذي انتقل من المعنى المشافه إلى النص التاريخي المدون.

لقد ذهب الحداثيون إلى القول بأن الاعتقاد في كون القرآن الكريم له أصل إلهي؛ "لا يبيح النظر إليه على أن له خصيصة منهجية تنأى به عن مناهج البحث العلمي المعتادة." (١)

كما اعتقد هؤلاء أن البنية للكلمات القرآنية، إذا استبعدنا ما يتعلق بالقداسة، والعصمة؛ فإنها تدخل في إطار النقد، على أساس أن القرآن الشفهي هو الكلام الإلهي، أما المنطوق اللغوي فهو من وضع النبي –صلى الله عليه وسلم–. وبناء عليه، تناول بعضهم القراءات القرآنية وحكم عليها بالمخالفة لقواعد اللغة؛ نظرا لجهلهم بالقراءات، وطرق توجيهها.

ويعتقد هؤلاء أن بنية القرآن الكريم فيها الكثير من المستوى العالي تارة، والنازل أخرى، وبالتالي ظنوا أن هذه الفوارق تؤكد فكرتهم التي يعنون بها وجود تدخل بشري في النص المنزل.

يقول أركون(٢) : "يصبح همنا هو التالي: تحديد المكانة المعرفية للمعنى المنتج على المستوى اللغوي والتاريخي للخطاب الشفهي، والتمييز بينها وبين المكانة المعرفية للخطاب المدون أو المكتوب." (١)

---

(١)المرجع السابق: ص٣٧٣.

(٢) مفكر جزائري، من مواليد ١٩٢٨م، بمنطقة القبائل، تلقى تعليمه الثانوي في "وهران"، ثم أتم دراسته بباريس ١٩٥٥م، وحصل على الدكتوراه من السربون ١٩٦٩، حاضر في العديد من الجامعات الفرنسية والعربية، له مؤلفات كثيرة، منها: الإسلام بالأمس واليوم، قراءات في القرآن، نحو نقد العقل الإسلامي، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.....وغيرها. وافته المنية في باريس ٢٠١٠م، ودفن بالمغرب. [راجع الدكتور سليمان=

ولا شك أن هذا الجانب قد قصد به البنية القرآنية، وفاتهم أن الكلمات القرآنية – إذا افترضنا جدلا– أن بها شيئا من خلل، كما زعم الحداثيون؛ لَما سكت العرب عند نزول القرآن الكريم، وهم أهل اللغة والفصاحة، والقرآن قد تحداهم.

٢– ما يتعلق بالتشريعات.

دلت النصوص القرآنية على أن كل نبي جعل الله –تعالى– له من التشريعات ما يصلح القوم الذين بعث فيهم، يدل عليه قوله –تعالى–: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢] من حيث إن كل نبي كان يبعث إلى قومه بما يناسبهم.

كما أن الله –تعالى– قد تعهد كل أمة ببيان الأحكام المتعلقة بالمطعومات، والمشروبات، والمنكوحات، وما به تتحقق سعادتهم، فإذا ما سار هؤلاء على شرعه، وتمسكوا بأحكامه؛ أبقى بينهم أمورهم، فإذا عدلوا؛ حرم عليهم بعض ما كان قد أحله لهم، يدل عليه ظاهر قوله –تعالى–: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[٣] ثم أحل الله –تعالى– لبني إسرائيل، مع نبيه عيسى "عليه السلام" بعض ما كان قد حرمه عليه زمن موسى "عليه السلام"، يدل عليه قوله –تعالى–: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[٤] وكذلك حال الرسالات الخاصة، أما الرسالة الخاتمة فأمرها ثابت فيما يتعلق بكل ما أراده الله – تعالى–.

= بن صالح الخراشي: نظرات شرعية في فكر منحرف، ج ١، ص ٥١١، روافد للطباعة والنشر –لبنان –بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(١) د/ محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني، ص ١٨٨، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة – بيروت.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٥٠.

خالف الحداثيون قاعدة تثبيت الأحكام والتشريعات الإلهية مع الأمة الخاتمة، وقد صور موقفهم –هذا– الدكتور مصطفى السلاوي، حيث قال: إن القرآن الكريم "جاء استجابة لنوازل اجتماعية، وسياسية، انقضى أمرها، ولم يعد صالحا مواكبا لكل زمان ومكان." (١)

إن موقف الحداثيين من التشريعات والأحكام الإلهية يدل على افتقداهم الفهم الصحيح؛ لأن التطبيق العملي لهذه الأحكام يدل على قدرتها لاستيعاب المستجدات كلها.

وبناء عليه، فإن فكرة "تاريخية النص القرآني" التي يعول عليها الحداثيون، ويزعمون –بعدها– أنه لم يعد صالحا لكل زمان ومكان؛ إنما هي أفكار إسقاطية، نقلت عن الغربيين الناظرين في كتب اليهود والمسيحية، ومحاولة إنزال ما فيها على القرآن الكريم، وهو إسقاط فاسد، واتجاه غير صحيح.

لقد أعلن الحداثيون أن "تاريخية القرآن الكريم" معناها: "ارتباطه بواقعه، ومداره الزماني والمكاني الذي نزل فيه." (٢)

من المؤكد أن فكرة الحداثيين عن ارتباط القرآن الكريم بالواقع الحياتي، والمدار الزماني والمكاني؛ تعبر عن إشكاليات في عقولهم، ومردها –من وجهة نظري–إلى انخفاض الوازع الديني، من حيث إن له سلطانا على العقل، ومكانة في القلب، ثم إنه يعبر عن الفطرة السليمة، فإذا تلاشت أنوار الفطرة السليمة؛ انخفض الأداء القلبي، فتأثر العقل، فتدنى الوازع الديني.

أضف إلى ما سبق: أن الحداثيين يحتفون بمدارس النقد الحديثة للكتاب المقدس، تلك التي ظهرت في أوروبا إبان القرن الثامن عشر وما بعده، هذه المدارس توجهت بالنقد المباشر إلى الكتاب المقدس بعهدَيْه، وتناولت نصوصه من ناحية: اللغة،

---

(١) أبو سفيان مصطفى باحَّو السلاوي المغربي: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، ص ١٤٥، المكتبة الإسلامية –القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

(٢) د/ قطب الريسوني: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبير، ص ٢٠٩، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية –المغرب ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

والوقائع التاريخية، وأكثروا من توجيه سهام النقد إلى تلك الكتب، كنوع من رد الفعل ضد ما كانت تقوم به الكنيسة.

وبالتالي، زعم الحداثيون أن ما يجري على الكتاب المقدس؛ يجري مثله على القرآن الكريم، وتناسى هؤلاء أن القرآن الكريم متصل السند بقراءاته المتواترة كلها، بينما الكتاب المقدس منقطع السند، وبالتالي، سيظل القرآن الكريم مقدسا رغم أنف الجميع.

٣- الاعتماد على بديل النص.

يذهب الحداثيون إلى أن النص المقدس ليس موجودا على الإطلاق، والنظر إلى النص القرآني، وما وضع من مناهج بحثية؛ تبين ضرورة أن يكون النص القرآني في مستوى التناول والتحليل، مثله في ذلك مثل سائر النصوص الثقافية.

فإذ ما تم جعل النص القرآني في مستوى غيره من النصوص الثقافية؛ اعتبر نصا شقيقا لها، يجري عليه ما يجري على غيره. ولعل ذلك ما فرضته الثورة المنهجية التي أرست -بتعريفها الجديد للنص- إمكانية إلغاء الفرق بين النصوص(١)، فلا وجود لنص مضاف إلى أي مكان، فكل النصوص تتكلم لغة الواقع، وتحمل المعنى الذي يدركه المتلقي والمفكك لعجمة النص(٢)، هذا التعامل ألغى مصدرية النص، وأرسى -بدلا عنه- المتلقي، كمالك جديد للنص.(٣)

---

(١) "إمكانية إلغاء الفروق بين النصوص" جملة خادعة، أو خواء، لا قيمة لها، من حيث إن القاعدة المعرفية تؤكد استقلال كل نص عن الآخر، فالنص الفقهي غير النص الكلامي، والأصولي غير النحوي، وبالتالي، فلكل نص طبيعة وخصوصية.

(٢) عجمة النص تأتي من وجوه، أحدها: أن يكون نصا أعجميا، بمعنى: أنه من لغة ليست عربية، ثانيهما: أن يكون النص غامضا، لا يمكن فهمه بسهولة، ثالثها: أن يكون المتلقي له ليس على قدر من الثقافة التي تمكِّنه من تفهم محتوى النص. وعبارة الحداثيين تحمل الوجوه جميعا.

(٣) إلياس قويسم: أزمة المنهج التاريخي في التعامل مع النص القرآني، ص ٣، بحث منشور في ملتقى أهل التفسير بتاريخ ١٣/ ٨/ ٢٠١٣م https:vb.ta fsir.net

إن فكرة فرض الثورة المنهجية لبعض الجوانب المعرفية؛ دعوى لا تتعلق إلا بالتراث الإنساني، من حيث إنه يقبل هذه المناهجية، أما القرآن الكريم فليس تراثا، وإنما هو كلمات إلهية، باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أضف إلى ما سبق: أن فكرة المتلقي التي ساقوها؛ ليس لها ضابط معين، فالناس –في المعارف– أطياف، طبقا للقدرات العقلية، والفروق الفردية التي جعلها الله في جميع أفراد بني البشرية.

وبناء عليه، فالذي يتلقى النص القرآني، وهو من عوام الناس، حتى لو تربَّى في بيئة عربية؛ فإنه لا يكون أبدا بديلا عن الله –تعالى–، ومن قال بغير ذلك خاصم القواعد العلمية، وخالف أحكام الفطر الإنسانية.

وحيث انتهيت من الحديث عن موضوع "التاريخية الحداثية"، على النحو الذي سلف؛ فمن المناسب الانتقال إلى الأهداف التي عقدوا عليها عقولهم، من حيث: الآثار المترتبة عليها، وذلك ما سيرد إن شاء الله تعالى.

ثانيا: الغايات والآثار المترتبة عليها

إذا كانت الغاية هي مايجيء عقب الهدف؛ فإن الأثر ما يمتد بعد الغاية، ويستغرق جزءا من الزمان، طالت ساعاته أو لم تطل. وبناء عليه، يكون من الضروري الإلماح إلى الغايات التي انعقدت في عقول الحداثيين حول ما يتعلق بالنص القرآني، وكونه يقبل الحداثة أم لا؟ وذلك على النحو الآتي:

١– استواء القرآن مع غيره.

يعتقد الحداثيون –تقليدا للآخرين– أن القرآن الكريم نص تاريخي، كسائر النصوص الأخرى، ومن ثم فيمكن أن يعدَّل فيه بما يتفق مع طبيعة المتلقي، أو يخضع لأحكام المناهجية التي زعموها، وتقوم شبهتهم في المسألة لا على ذات النص، وإنما على النص من حيث هو نص لغوي، يقبل التشكل، والقبول للظروف السياسية، والاجتماعية، وغيرها.

يقرر الحداثيون أن النص –بالمعنى العام– يشمل كافة النصوص، لا فرق بين نص ديني، ونص أدبي، أو فلسفي، من حيث إنها تتفق –جميعا– في تكونها،

وتشكلها؛ "فالنص –في النهاية– نص، لا فرق بين النص الديني، والنص الأدبي، والنص التاريخي، والنص القانوني، والنص الفلسفي .....إلخ، فالكل إبداع، ولا اختلاف بين النصوص من حيث تكونها، أثرها، تشكلها، وتشكليها، إلا في الدرجة، أما –في النوع– فلا اختلاف، فالمسافة بين النص الديني والأدبي ليست بعيدة." (١)

من المؤكد أن تلك الغاية يترتب عليها أثر تدميري؛ من حيث إن الإنسان المسلم على يقين من قدسية القرآن الكريم، وأنه لا يقبل الزيادة ولا النقصان، كما أنه أنزل رحمة للعالمين، فلو قبل أن يكون مساويا للنصوص الأدبية والتاريخية؛ ما بقي له شيء من الاحترام والقداسة في نفوس المؤمنين.(٢)

غير أن الحداثيين، وهم يحاولون التأكيد على استواء النص القرآني مع غيره من النصوص؛ يستخدمون وسائل التعمية، فيؤكدون "أن الوحي الإلهي هو قصد من الله –تعالى– إلى الإنسان، وخطاب موجَّه إلى البشر، على لسان النبي، وبلغة قومه، فالوحي الإلهي هو وحي ألقاه الله –تعالى–، وتلقاه البشر، أعطاه الله –تعالى–، ونطق به النبي، وفهمه للناس، ولا شيء يخرج من لا شيء، فالكل حلقات متصلة، وإنما الاختلاف في الصياغة، وفي الأثر، وفي الشكل، وفي المضمون؛ فالمسافة ليست بعيدة بين الشعر القديم والقرآن الجديد، وبين السجع القديم والأسلوب القرآني." (٣)

أجل، لقد غاب عن الحداثيين العديد من المصطلحات العلمية، فوصفهم "الوحي الإلهي" بأنه قصد من الله –تعالى– إلى الإنسان؛ فيه مغالطة؛ لأن الوحي الإلهي يستعمل –عند إطلاقه– على ثلاثة، أحدها– النص الموحى به. ثانيها– ملك الوحي، وهو من ينقله. ثالثها– الرسول الذي يستقبله. بينما عبارة: "القصد من الله إلى الإنسان" إنما تدخل في نطاق الإرادة والعلم –على ناحية من النواحي.

---

(١) د/ حسن حنفي: قراءة مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد، ص ٢٢٨، مجلة فصول، المجلد التاسع ١٩٩١م.

(٢) نحن المسلمون نعتقد أن قدسية القرآن الكريم تمتد حتى إلى غلافه، لذا حرم على أصحاب الحدث الأصغر، أو الأكبر؛ مسَّه، إلا لضرورة؛ لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [سورة الواقعة: الآية ٧٩.]

(٣) الدكتور حسن حنفي: قراءة مفهوم النص لنص حامد أبو زيد، ص ٢٢٨.

أضف إلى ما سبق: أن الأسلوبية القرآنية ذات وقع يقوم على: مقدمات، ومقاطع، وخواتيم، التي يتمثل فيها الوحي الإلهي الوارد من الله –تعالى– على ألسنة أنبيائه ورسله، ومن ثم، فزعمهم استواء النص القرآني مع غيره؛ خروج على القواعد الصحيحة، وابتعاد عن الأصول الثابتة.

٢–نزع القداسة عن النص القرآني.

يرى الحداثيون أن هذه الكتب قد خلع عليها وصف القداسة بواسطة "عدد من الشعائر والطقوس، والتلاعبات الفكرية الاستدلالية، ومناهج المفسرين المتعلقة بكثير من الظروف المحسوسة المعروفة، أو التي يمكن معرفتها." (١)

لقد أعلن الحداثيون عن رغبتهم في إبعاد صفة "القداسة" عن النص القرآني، حيث جعلوا هذه القداسة بشرية، ولم ينسبوها إلى رب البرية، فساووا بين النص الديني المقدس، الوارد تقديسه في قول الله –تعالى–: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾(٣) وبين غيره.

أضف إلى ما سبق: أن الحداثيين قد خلطوا بين الشعائر والطقوس، كما أنهم لم يميزوا بين الشعائر الإلهية الواردة في كتاب الله –تعالى– وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم–، وبين الشعائر الإنسانية(٤)، التي تفرضها عوامل دينية، أو سياسية، أو اجتماعية، بحيث تكون علامة مميزة لأصحابها.

ولا شك أن هذه الغاية (نزع القداسة عن النص القرآني) قد ظهرت لها آثار سلبية، تمثلت في الجماعات التكفيرية، والأخرى الانحلالية، بجانب أصحاب التأويل المسرف.

---

(١) أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ٢٥ – ٢٦.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٣.

(٤) من الشعائر الإنسانية التي تفرضها الثقافات والمجتمعات: ما يتعلق بالشعائر السياسية، التي تتمثل في "البروتوكولات" التي يقوم بها أفراد "السلك الدبلوماسي" عندما يؤدون أعمالا تتعلق بالدول التي يقيمون بها.

٣- إخضاع القرآن الكريم لما أخضع إليه غيره.

يعتقد الحداثيون أنهم لما حاولوا نزع القداسة عن النص القرآني، ورغم أنهم لم ينجحوا في تلك الغاية، إلا أنهم مصرون على إخضاع القرآن الكريم لما أخضع إليه غيره من الكتب الأخرى. وتلك مشكلتهم؛ حيث إنهم لم يفرقوا بين نص يقبل الإخضاع، بصوره المتعددة؛ لكونه ليس نصا إلهيا، وبين النص المقدس، الذي استعصى على الإنس والجن النيل منه، وسيظل أمره كذلك حتى تقوم الساعة.

أجل، اعترف الحداثيون أنهم جربوا إخضاع الكتب الأخرى لمناهجهم البحثية التي زعموها، وتصوروا أنهم لما أزاحوا عنها القداسة؛ صار من السهل الإتيان عليها، ونقدها، فلما حاولوا ذلك مع القرآن الكريم لم ينجحوا. يقول أركون: "هذا التقديس الذي خلع وأسدل، قد توضحت أسبابه، وبرهن عليها فيما يخص التوراة(١)، ولكنها لم تحصل -حتى الآن- فيما يخص القرآن. لماذا؟ بسبب الظروف السياسية، والثقافية، والتربوية للمجتمعات السائدة." (٢)

والسؤال: أليس الحداثيون قد قرروا -سلفا- أن الظروف السياسية، والثقافية، والتربوية، وغيرها؛ هي التي حكمت على النص القرآني بأنه تاريخي؟ لماذا -الآن- يعولون عليها في عجزهم عن إخضاع القرآن الكريم لما أخضع إليه غيره؟

ولا شك أن هذا الكلام فيه إعلان عن العجز الذي وقعوا فيه، ولم يتمكنوا -حتى اليوم- من الخروج منه. وفي تقديري أن إخفاقهم المتواصل؛ من وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ لأن هذا الاستعصاء راجع إلى الحفظ الإلهي الوارد في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٣) ومع ذلك، فلا يزال بعض الحداثيون يعتقدون أن

(١) تسمية الكتاب المقدس باسم "التوراة"؛ فيه مغالطة، ومع ذلك يصر كثير من الباحثين المسلمين على تسمية الكتاب باسم "التوراة"، والسؤال: هل توجد نسخة أخرى غير محرفة يقاس عليها المحرف؟ أليس من الأولى أن نقول: "العهد القديم"، كما يقول أصحابه، ويمكننا نقده كما نقدوه، وتظل التوراة الإلهية مرفوعة عند الله "تعالى"، بدل أن تتهم بالتحريف.

(٢) أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ٢٥ – ٢٦.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩.

عجزهم عن هذا الإخضاع للنص مرده إلى النظرة المقدسة التي تحول دون الفهم الحقيقي للخطاب الديني.(١)

غير خاف أن عجزهم عن إخضاع القرآن الكريم لما أخضع له غيره؛ جعلهم يعتمدون على شبهات قامت في عقولهم، فإذا كان النص القرآني –عندهم– قد نزعت منه القداسة؛ فلماذا لم يتمكنوا من إخضاعه للمناهج الحديثة؟

من المؤكد أن إجابتهم على هذا التساؤل لا تجد طريقا صحيحا تعتمد عليه، بل على العكس من ذلك، تراهم يدورون في نطاق جملة من الألفاظ لا تؤدي معنى مقبولا، يدل عليه ما ذهب إليه بعضهم من أن القرآن الكريم منذ أن تلفظ به النبي – صلى الله عليه وسلم– تحول من كتاب "تنزيل" إلى كتاب "تأويل"، ذاهبين إلى أن المصدر الإلهي للنص لا يخرجه عن كونه بشريا.(٢)

وفي تقديري، أن هذا الكلام فيه جملة من المغالطات، أذكر منها:

أ– أن فكرة تحول القرآن الكريم من كتاب "تنزيل" إلى كتاب "تأويل"؛ لم يقم عليها دليل واحد، بل إن النصوص الدينية تشهد بأن القرآن الكريم في جانب التأويل لا يعلم حقيقته إلا الله –تعالى–، جاء ذكره في قوله –تعالى–: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾(٣)

ب- زعمهم أن المصدر الإلهي للنص القرآني لا يخرجه عن كونه بشريا؛ فيه مغالطة واضحة؛ إذ كيف يكون النص إلهيا وبشريا في آن واحد؟ ولا شك أن عبارتهم تدينهم، وتشهد باستعصاء القرآن الكريم عليهم.

(١) راجع لعبد الهادي عبد الرحمن: سلطة النص، ص ١٥٧، حيث ركز على هذه ا لقضية، وذكر أن النظرة التقليدية المحافظة هي التي تنظر إلى النص بعين التعالي والتقديس، داعيا إلى بطلانها، وعدم الوقوف عليها.

(٢) راجع لنصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، ص ٢٠٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧.

٤- نسبية فهم النص القرآني.

يذهب الحداثيون إلى أن النص القرآني غير ثابت في مفاهيمه، كما أن له مستويات، بحيث يكون قابلا لكل الأفهام، غير محدد بمعنًى ثابت، فهو -على حد زعمهم- "يقول كل شيء، ولا يقول شيئا." (١)

إن عبارتهم: (القرآن قابلا لكل الأفهام) تفيد العموم، ولا تفيد النسبية. هذا، وقد ناقش الدكتور البوطي هذه الأفكار، وجاءت ردوده قاضية على شبهاتهم، وبخاصة فيما يتعلق بهذا الجانب.

يقول الشيخ: "إذا كان القرآن الكريم -في مرحلة خضوعه للتأويل- متَّسِعًا لسائر الأفهام، والاجتهادات، منسجما مع سائر المذاهب والفلسفات، متلوّ مع سائر التطورات والأحوال، وكان كالماء السيَّال، لا يستقر عند دلالة واضحة، ولا معنى معين "يقول كل شيء، ولا يقول شيئا"؛ فما الحاجة -إذن- إلى أن يلاحق به الناس: إعلاما وتكليفا، مع الوعد بالأجر الحسن للمستجيب المطيع، والوعيد بالعقاب للجاحد المعرض، وما الحاجة إلى أن تنقاد له أعباء رسالة، تمتد على مدى ثلاثة وعشرين عاما، وحْيًا من عند الله، يخاطب به الناس." (٢)

لقد أصاب الشيخ حين لخص الفكرة القائمة في عقولهم -تلخيصا دقيقا، ثم تناولها بالنقد الهادئ، مبينا فسادها.

بيد أن الأمر لم يقف بالحداثيين عند هذا الحد، بل تجاوز بعضهم معلنا أنه يحق له أن يفهم القرآن بطريقته، مادامت رسالة الإسلام عالمية، صالحة لكل زمان ومكان، كما أعلن أنه لا يريد فهم القرآن من خلال "عبد الله بن عباس"، أو غيره، إنه يريد فهمه من خلال توجهه له مباشرة، ثم يقول: "أليس القرآن لكل أهل الأرض؟ أولست

---

(١) طيب التيزيني: الإسلام والعصر -تحديات وآفاق (القسم الثاني: الإسلام وأسئلة العصر الكبرى) ص ١٠٧، دار الفكر -دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. والكتاب عبارة عن قسمين: الأول منهما بعنوان: الإسلام والعصر تحديات وآفاق للدكتور البوطي، وعلق عليه الدكتور طيب التيزيني، والقسم الثاني بعنوان: الإسلام وأسئلة العصر الكبرى، للدكتور طيب التيزيني، وعلق عليه الدكتور البوطي.

(٢) د/ محمد سعيد البوطي: الإسلام والعصر -تحديات وآفاق، ص ١٨٧.

واحدا منهم؟ ويحق لي أن أفهمه، كما يحق لعبد الله بن عباس؟ وحقي لا يقل عن حقه إطلاقا." (١)

لقد جعل صاحب النص مكانته من مكانة صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، متجاهلا شرف الصحبة، ومكانة الصحابة؛ فهم "أحق الأمة بإصابة الحق والصواب، وأجدر الخلق بموافقة السنة والكتاب." (٢)

أضف إلى ما سبق: أن ابن عباس –الذي ساوى صاحب النص نفسه به في فهمه للقرآن الكريم كان بحر الفقه، وترجمان القرآن، وقد دعا له النبي –صلى الله عليه وسلم– بقوله: "اللهم فقِّهه في الدين، وعلمه التأويل." (٣) ودعاء الرسول –صلى الله عليه وسلم– لا يرد،" وقد قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس، من أوله إلى آخره، أقفه عند كل آية، وأسأله عنه، كما تواترت النقول عنه أنه تكلم في جميع معاني القرآن الكريم." (٤)

(١) محمد شحرور: إشكاليات القراءة المعاصرة للنص القرآني في المنهج وأدواته، ص ٣٦، ضمن كتاب: قراءات معاصرة للنص القرآني، لمجموعة من المؤلفين، مراجعة قسم المراجعة في مركز الحضارة –بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

(٢) الشيخ شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المُضِيَّة في عقد الفرقة المرضية، ج ٢، ص ٣٧٦، مؤسسة الخافقين –دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. وقد عقد الشيخ فصلا في فضل الصحابة -جملة، وحقهم.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الوضوء، باب: وضع الماء في الخلاء، ج ١، ص ٤١، رقم ١٤٣. والحديث بتمامه: عن ابن عباس أن النبي "صلى الله عليه وسلم" دخل الخلاء، فوضعت له وضوءا، قال: ((من وضع هذا؟) فأُخْبِر، فقال: ((اللهم فقهه في الدين.))

(٤) الشيخ صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢١٤، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج ناصر الدين الألباني، دار السلام، الطبعة المصرية، الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

أجل، يركز الحداثيون على القضية، مستخدمين المناهج المادية، نافين عن معاني القرآن الكريم أي ثبات واستمرارية، معتقدين أن الخطاب القرآني خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا.

يقول الدكتور نصر حامد أبو زيد: "ليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، بل لكل قراءة –بالمعنى التاريخي الاجتماعي– جوهرها الذي تكشفه في النص." (١)

إن هذه الدعوى لها خطورة بالغة على القرآن الكريم؛ فإذا انتفى عن آيات القرآن الكريم أي ثبات لمفاهيمها؛ أصبحت عملية حفظ القرآن الكريم لا معنى لها، فما الفائدة من حفظ أوعية فارغة؟

يقول الدكتور محمد عمارة: "وهل يبقى –مع ذلك، وبعد ذلك– شيء من الذكر الذي تعهد الله بحفظه؟ اللهم إلا إذا كان هذا الحفظ حفظا متحفيا لصور الألفاظ التي فقدت معانيها ودلالتها، بانتهاء عصر النبوة، وتغير جوهر القرآن الذي نزل به الروح الأمين على قلب النبي –صلى الله عليه وسلم–، وذلك بتعدد القراءات، مع تعدد القراء لهذا القرآن. إنه تحويل لألفاظ القرآن –بعد تفريغها من المعاني التي أنزلها الله فيها– إلى مجرد أوعية فارغة، يصب فيها كل قارئ لقراءة غير بريئة؛ المفاهيم غير البريئة التي يراها." (٢)

أضف إلى ما سبق: أن الحداثيين يعولون على فكرة، ظنوها تزيد من أرصدتهم المعرفية، ألا وهي: فكرة التمييز بين القرآن الشفهي، الذي نزل على النبي –صلى الله عليه وسلم–، والمكتوب بين دفتي المصحف.

يقول أحدهم: "لفظ القرآن لا يصح أن يطلق حقيقة إلى على الرسالة الشفوية، التي بلغها الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى الجماعة التي عاصرته." (٣)

---

(١) د/ نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، ص ٨٣.

(٢) د/ محمد عمارة: التفسير الماركسي للإسلام، ص ٦٢.

(٣) عبد المجيد الشرفي: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ص ٤٩، دار الطليعة –بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

بيد أن الثابت أن القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف؛ هو نفسه الذي نزل به الروح الأمين (جبريل) "عليه السلام"، وقرأه على النبي –صلى الله عليه وسلم–، فإذا ما انتهى ما هو مأمور بإبلاغه وقراءته؛ نقله الرسول –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه. يدل عليه قوله –تعالى–: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1]

ومن ثم، يكون القول بـ "تاريخية النص القرآني" لا يقوم على سند مقبول، ولا معنى لقولهم: "إن القرآن نزل للبشر، وبلغة البشر؛ فيجب أن يفهمه البشر على قواعدهم اللغوية والنحوية." [2]

وهو قول يحمل الخطأ بين جنباته؛ لأن الرسالة خاتمة للإنس والجن، والقرآن نزل بلغة يفهمها كل منهما، والقول بأنه نزل للبشر؛ قول ضيق، ويدل على أن قراءتهم للنص قراءة غير واعية.

أضف إلى ما سبق: أن القرآن الكريم له نظم خاص، لا يخضع لمقاييس اللغة، بل هي التي تخضع له، من حيث إنه الحاكم عليها. ولم يفقه الحداثيون هذه المسألة.

ومن المؤكد أن هذه الغاية تعقبها آثار ليست مقبولة، إنها آثار تدميرية؛ من حيث إنها تفتح الباب لظهور جماعات القواعد المنهجية، والسعي إلى إيجاد مناهج جدلية، تنتهي إلى أن يتحول المجتمع المسلم من الالتزام بكتاب الله إلى الوقوع في غضب الله.

(١) سورة القيامة: الآيات ١٦ – ١٩.

(٢) نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، ص ٢٦١.

ويمكنني استعارة القول بأننا "لا نخشى على كتاب الله عز وجل، ولا نخشى من العبث به؛ لأنه محفوظ من العبث، وإنما نخشى من العبث بالعقول، وتزوير الحقائق، وترويج الأكاذيب."(١)

وحيث انتهيت من الحديث عن "التاريخية الحداثية المرفوضة"، والآثار المترتبة عليها؛ أنتقل –الآن– للحديث عن خاتمة هذا البحث، فيما سيرد من صفحات (إن شاء الله)

(١) الدكتور إدريس الطعان: العلمانيون والقرآن الكريم (تاريخية النص)، ص ٧٧١، تقديم: الدكتور نور الدين عتر والدكتور محمد عمارة، دار ابن حزم –الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

الخاتمة

أولا: أهم النتائج:

١- أن الحداثيين وقعوا ضحايا أفكار سيقت إليهم، وسيقوا إليها، والذي ساقهما معًا هم أولئك الذي رفعوا راية العلم، والمعرفة، وادعوا الموضوعية، والحيدة في البحث العلمي، وهم أبعد ما يكونوا عن هذا وذاك.

٢- يمكن اعتبار "التاريخية المقبولة" للقرآن الكريم؛ إحدى وجوه إعجازه. يستوي -في ذلك- قصصه، وأخباره، وأحكامه؛ فهو كلام الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٣- أن الحداثيين غابت عنهم عناصر أساسية في البحث العلمي، كشفت عن خروجهم عما هو مألوف، واستنطاق حوادث لم تقع، واستخدام مفردات وجمل أقرب وصف لها: أنها فارغة عن كافة المضامين.

٤- أن الحداثيين، في ترويجهم لفكرة "التاريخية" المتعلقة بالنص القرآني، على النحو الذي أشاعوه؛ إن هي إلا نبت في غير موضع، فلا هم أصابوا الحقيقة الموضوعية، كما زعموا، ولا هم نالوا ثواب الباحث المجتهد. يدل عليه أنهم -في تاريخيتهم القرآن الكريم- أنكروا النص المنزل، مع أنه ثابت في اللفظ والمعنى. واتجاههم للفصل بين القرآن النفسي والمدوَّن؛ إنما هو عمل خاطئ.

٥- أن القضايا التي تناولها الحداثيون، فيما يتعلق بـ "تاريخية النص القرآني"، في العصر الحديث؛ إن هي إلا رجع صدى لما ذهب إليه سابقوهم، وحيث إن

القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله –تعالى–؛ فإن المحاولات التي يقوم بها الحداثيون فيها استعداء لله عليهم، ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه.

٦- أن الحداثيين الذين روَّجوا لفكرة "تاريخية القرآن الكريم" كانوا أبواقا لأولئك الذين لم يتمكنوا من إعلان نواياهم مباشرة، فاستخدموا صنائع لهم، قامت بهذا الدور نيابة عنهم، فصار الحداثيون يمثلون دور "القاتل بأجر".

٧- من المؤكد أن أصحاب الفكر الحداثي استطاعوا استعمال الجدل في غير موضع، ومارسوه على أكثر من وجه، أما النتائج التي زعموها فلم يصل أمرها –بعدُ– إلى حد القبول، بل انهارت قواعدها، وثبت بطلانها.

ثانيا: التوصيات:

١- ضرورة التركيز على الكتاب الكريم، والسنة المشرفة؛ لأن –في ذلك– تطبيقا عمليا لظواهر النصوص الشرعية.

٢- ضرورة التعامل مع أصحاب الفكر الحداثي، عند تناولهم النص القرآني أو الحديثي؛ في حيدة شديدة، وفهم جيد؛ فغالبا ما يضعون السم في العسل، وهم ينفذون تعليمات غيرهم –إذا حسنت نواياهم، أما إذا أسيء الظن بهم؛ فمن المؤكد الحكم عليهم بأنهم عملاء لغير دين الإسلام، يوالون من حادَّ الله ورسوله.

٣- التأكيد على أن قضية "الحفظ الإلهي" للقرآن الكريم؛ ستظل عاملة إلى يوم القيامة، وأن المحاولات التي يقوم بها الحداثيون المعاصرون؛ لا تفترق عما قام به غيرهم من المجادلين في دين الله؛ إلا في جانب

الصياغة التي تكشف الفترات الزمانية، وهذا من شأنه النظر في ريبة إلى مؤلفاتهم.

٤- نقد هذه الأفكار، وبيان بطلانها وزيفها؛ حيث يقدمها هؤلاء، تحت ستار: النقد العلمي، وحرية البحث، إلى غير ذلك مما يزعمون، والتنبيه على بطلانها وزيفها.

ثالثا: المقترحات:

١- خطر الأثر الحداثي على فهم النص القرآني.

٢- جهود المستغربين في خدمة أعداء الدين –عرضا ونقدا.

٣- قدسية النص القرآني، وطرق دفاعها عن نفسها.

٤- طبيعة النص القرآني، واحتكام الإنس والجن له.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم وعلومه:

*- ابن عاشور – الإمام محمد الطاهر بن محمد الطاهر.

١- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير) الدار التونسية ١٩٨٤م.

*- البيضاوي –الإمام ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.

*- السمرقندي –الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بدون بيانات.

٣- بحر العلوم.

*- المراغي –الشيخ أحمد بن مصطفى

٤- تفسير المراغي، طبعة: الحلبي، الأولى ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

ثانيا: السنة النبوية وعلومها:

*- البخاري –الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله.

٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

*- الحاكم –الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، المعروف بـ "ابن البيع" (ت ٤٠٥هـ).

٦- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

*- مسلم –الإمام أبو الحسن القشيري النيسابوري ابن الحجاج (ت ٢٦١هـ)

٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- (صحيح مسلم) تحقيق: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي –بيروت.

ثالثا: المراجع العامة:

*- ابن خلدون -العلامة عبد الرحمن.
٨- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث -القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
*- أبو زيد -الدكتور نصر حامد.
٩- مفهوم النص -دراسة في علوم القرآن، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ١٩٩٥، نشر: المركز الثقافي العربي، الطبعة: الأولى ٢٠١٤م.
١٠- النص والسلطة والحقيقة إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، المركز الثقافي العربي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الطبعة: الأولى ٢٠١٤م.
١١- التفكير في زمن التكفير ضد الجهل والزيف والخرافة، مكتبة مدبولي -القاهرة، الطبعة: الثانية.
*- أركون -الدكتور محمد.
١٢- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة -بيروت، الطبعة: الثانية ٢٠٠٥م.
١٣- قضايا في نقد العقل الديني -كيف نفهم الإسلام اليوم، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة -بيروت.
*- الأشعري -الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل.
١٤- الإبانة عن أصول الديانة، مكتبة الجامعة الأزهرية -أسيوط.
*- الأصبهاني -الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب.
١٥- المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية -دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.
*- بلعفير -الدكتور محمد بن عبد الله بن صالح.
١٦- البنيوية النشأة والمفهوم عرض ونقد، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية ٢٠١٧م.
*- البوطي، بالاشتراك مع الدكتور طيب التيزيني.
١٧- الإسلام والعصر -تحديات وآفاق، دار الفكر -دمشق، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩.
*- البيَّاضي -الإمام كمال الدين أحمد الحنفي.

١٨- إشارات المرام من عبارات الإمام، تحقيق وتعليق: الدكتور يوسف عبد الرازق، طبعة: الحلبي، الأولى ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.
*- التيزيني -الدكتور طيب.
١٩- النص القرآني أمام إشكاليات البنية والقراءة، دار الينابيع -دمشق ١٩٩٧م.
*- الجرجاني -السيد علي بن محمد بن علي الزين الشريف.
٢٠- التعريفات، دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
*- الجويني -الإمام عبد الملك.
٢١- البرهان في أصول الفقه، تحقيق: عبد العظيم محمد الديب، دار الوفاء، الطبعة الثالثة.
*- حرب -علي.
٢٢- نقد النص، المركز الثقافي العربي -الدار البيضاء -المغرب، الطبعة: الرابعة ٢٠٠٥م.
*- حنفي -الدكتور حسن.
٢٣- قراءة مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد، مجلة فصول، المجلد: التاسع ١٩٩١م.
*- الحنفي -الشيخ صدر الدين محمد بن علاء الدين بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي.
٢٤- شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
*- الخراشي -الدكتور سليمان بن صالح.
٢٥- نظرات شرعية في فكر منحرف، روافد للطباعة والنشر -لبنان -بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
*- خلوف -أنور.
٢٦- القرآن بين التفسير والتأويل والمنطق العقلي، دار حوران -دمشق -سوريا، الطبع: الأولى ١٩٩٧م.
*- الرازي -الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين.

٢٧- عجائب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب الإسلامية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م.
*- الرافعي -الشيخ مصطفى صادق عبد الرازق.
٢٨- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي -بيروت، الطبعة: الثامنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
*- الريوسوني -الدكتور قطب
٢٩- النص القرآني -من تهافت القراءة إلى أفق التدبير، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية -المغرب ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
*- الزرقاني -الشيخ محمد عبد العظيم.
٣٠- مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة: الثالثة.
*- الزركلي -العلامة خير الدين بن محمد بن محمود بن علي بن فارس.
٣١- الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
*- زيما - بييرف
٣٢- التفكيكية دراسة نقدية، تعريب: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر -بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
*- السفاريني -الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم.
٣٣- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح العقيدة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين -دمشق، الطبعة: الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
*- السلاوي -أبو سفيان مصطفى باحّو المغربي.
٣٤- العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، المكتبة الإسلامية -القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
*- السنوسني -الشيخ محمد بن يوسف.
٣٥- شرح أم البراهين، ومعه حاشية: "على شرح أم البراهين" للشيخ الدسوقي، طبعة: الحلبي، الأخيرة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.
*- السيوطي -الإمام أبو بكر جلال الدين.
٣٦- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
*- شحرور -الدكتور محمد.

٣٧- مفهوم النص القرآني ومداخل قراءته، حوار أجراه معه الدكتور يوسف بن الغياثية، ونشر في مجلة "رهانات"، مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية -المغرب، العدد: ١٣، للعام ٢٠١٠م.
*- الشرفي -عبد المجيد.
٣٨- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، دار الطليعة -بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.
*- صليبا -الدكتور جميل.
٣٩- المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني -بيروت -لبنان ١٩٨٢م.
*- الطعان -الدكتور أحمد إدريس.
٤٠- العلمانيون والقرآن الكريم (تاريخية النص) تقديم: الدكتور نور الدين عتر، والدكتور محمد عمارة، دار ابن حزم -الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
*- عمارة -الدكتور محمد
٤١- التفسير الماركسي للإسلام، دار الشروق -القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
*- العمري -الدكتور مرزوق.
٤٢- إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، منشورات ضفاف -الجزائر، دار الأمان -الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
*- الفضالي -الشيخ محمد بن الشافعي.
٤٣- كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام، وعليها حاشية: "تحقيق المقام" للشيخ الباجوري، طبعة: الحلبي، الأخيرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.
*- قويسم -إلياس.
٤٤- أزمة المنهج التاريخي في التعامل مع النص القرآني، بحث منشور في ملتقى أهل التفسير، بتاريخ ١٣/ ٨/ ٢٠١٣م.
*- كحَّالة -العلامة عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني.
٤٥- معجم المؤلفين، مكتبة المثنى -بيروت، دار إحياء التراث العربي.
*- مجموعة من المؤلفين.
٤٦- قراءات معاصرة في النص القرآني، مراجعة: قسم المراجعة في مركز الحضارة -بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠٨م.

*- الهاشمي -الشيخ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى
٤٧- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتوثيق: الدكتور يوسف الصميلي، المكتبة العصرية -بيروت، بدون تاريخ.

رابعا: المواقع الإلكترونية:

https://Vb. Ta Fsir.net
www.tizini.com
https://shahrour.org

الفهرس

الموضـــــــــــــــوع	رقم الصفحة
مقدمة	١٨٧
الفصل الأول: (تحديد المفاهيم)	١٩٢
مفهوم لفظ "التاريخ"	١٩٣
مفهوم "التاريخية المقبولة للقرآن الكريم"	١٩٤
مفهوم "التاريخية المرفوضة للقرآن الكريم"	١٩٦
مفهوم "النص"	٢٠٠
الفصل الثاني: (التاريخية المقبولة: موضوعها، وفوائدها)	٢٠٢
أولا: موضوع "التاريخية المقبولة".	٢٠٣
١-ما يتعلق بخلق الكون.	٢٠٣
٢- ما يتعلق بتنزلات القرآن الكريم.	٢٠٤
ثانيا: الفوائد المترتبة على إثبات التاريخية المقبولة	٢١٢
١-تثبيت العقيدة الإيمانية.	٢١٢
٢- التأكيد على قدسية القرآن الكريم.	٢١٤
٣- إثبات النبوة الخاتمة.	٢١٥
٤- استمرار الفهم الدقيق للنص القرآني.	٢١٦
الفصل الثالث: (التاريخية المرفوضة: موضوعها، والآثار المترتبة عليها)	٢١٨
أولا: موضوع التاريخية المرفوضة.	٢١٩
١-ما يتعلق بالبنية.	٢١٩

الموضـــــــــــــــوع	رقم الصفحة
٢- ما يتعلق بالتشريعات.	٢٢١
٣- الاعتماد على بديل النص.	٢٢٣
ثانيا: الغايات والآثار المترتبة على التاريخية المرفوضة.	٢٢٤
١-استواء القرآن مع غيره.	٢٢٤
٢-نزع القداسة عن النص القرآني.	٢٢٦
٣- إخضاع القرآن لما أخضع له غيره.	٢٢٧
٤- نسبية فهم النص القرآني.	٢٢٩
الخاتمة	٢٣٤
المصادر والمراجع.	٢٣٧
الفهرس	٢٤٣